

## قرء الاتحاف : من هم ؟

مع إطلالة كل موسم ثقافي يتبادر إلى الذهن سؤال هام : قرء الاتحاف من هم ؟ ولا يطمح هذا السؤال إلى جواب يقيني بقدر ما يفصح عن رغبتنا في استكناه صدى جهدنا ووجهة نظر المتقبل تجاه ما تنشره الاتحاف . تلك المادّة الأدبيّة والفكريّة التي تستمدّ مشروعيّة استمرارها من حسن ما تلقاه من تجاوب .

هذا الهاجس التطلّعي رأينا أن نبادره قبل أن يبادرنا وأن نفتحه باختيارنا عوض أن نترقّب موعد حلوله في الصدور . اتّخذنا من العطلة الصيفيّة التي تدوم شهرين موعداً لاجراء سير للآراء يشمل شريحة متنوّعة من مشتركي الاتحاف ومن قرأها مداومين وممن عهدناهم أسرة موسّعة لا تغيب عنّا مقترحاتهم وانطباعاتهم واستفساراتهم مدّة طويلة... وورّعنا أسئلتنا توزيعاً مدروساً ليشمل الأركان الثابتة والأبواب ولينفتح على مقترحات أخرى عسى أن يتطوّر البعض بطرحها فندرجها ضمن توجّهنا الذي سنّتبعه في هذا الموسم الثقافي الجديد . ولندرأ المجاملة والاستحسان المجاني وما شاكل ذلك ممّا يضاعف مصداقيّة هذا الاستجواب تركنا مطلق الحرية للقارئ في أن يذكر اسمه أو لا يذكره... وتوافق التوزيع مع عدد جوان 1997 وهو آخر عدد تصدره قبل الدخول في عطلة تمتدّ إلى غرة سبتمبر .

كيف كانت الرنود ؟ وبأيّ مستوى من الحماس تعاطى القرء هذا الإستبيان ؟ وما النتائج التي أفضى إليها ؟ تلك هي الأسئلة التي نتوقّع أن نطالب بالإجابة عنها . ونحن

كلمة

العدد

يقسم :

خليفة

الخيار

بالفعل بصدد إجراء فحص شامل ودقيق لمحصلة سبر الآراء . لكن ليس هذا المجال هو الذي سنكشف فيه عن الخلاصة العامة للموضوع ، وإنما أردنا فقط أن نشير بإيجاز إلى بعض الملاحظات الأولية التي سجلناها ونحن نفتح الرسائل وهي لا تخلو من طرافة .

أول الطرائف المثيرة للإستغراب أن الردود الواردة علينا تغلب المعطى المنطقي فإذا أبعد القراء عنا هم الأقرب والأكثر تحمسا لمسار الاتحاد . فبالرغم من أن أرفع نسبة من الاشتراكات موزعة بالجهة التي تصدر منها المجلة فإن أدنى نسبة ردود وصلتنا من هذه الربوع ! في حين لم يخل الأصدقاء بالرد من أقاصي البلاد ، بل ومن تخوم الوطن العربي حيث كانت آراء المبدعين المغاربة والجزائريين والعراقيين سبّاقة إلى بريدنا . ومن الطريف أيضا أنه في الوقت الذي ترتفع فيه بعض الأصوات تلح على ضرورة تغيير الخط العام لتوجه المجلة وتطويزها ، لاحظنا أن باب المقترحات الذي فتحنه لم يأت بالجديد من الأفكار . وأغلب ما ورد فيه منقول عن مجلات أخرى تصدر بالتوازي مع الاتحاد . وليس من بين هذه المقترحات ما هو جدير بالدخول حيز التطبيق إلا القليل .

فإذا كنا لا نستغرب غلبة مشاركة الشباب في هذه الاستثمارة ونحن دائما إلى جانب تجاربهم الإبداعية نراها وتنضجها ، فممّا يجدر بنا أن نسجله هو تلك الرسائل المرفقة مع الاستبيان وأغلبها تعبير عن الرضى إزاء مسار الاتحاد في شكلها الحالي ... وما كانت القناعة أو الرضى من بين مطامحنا وما ينبغي لنا ، منذ سنة 1985 ليقيننا أن تلك الغاية لا تدرك ... وللقراء مع هذا الحديث موعد لاحق .

## أضواء على رحلة ابن بطوطة الى المشرق العربي \*

بقلم : الأستاذ رشيد الذواوي



### توطئة :

كلّما حاولنا أن نعرف المزيد عن جغرافية الوطن العربي وأحوال العرب ، رجعنا إلى الذّاكرة ... والى كتب التقاويم والجغرافية والرحلات ، وإلى تجارب العرب في العلوم والمعارف ، وإلى أبحاثهم المجيدة ، وإلى أخبار الفتوحات والمغازي .

وفي كلّ هذه المصادر التي لا بدّ وأن نعود إليها ، نكتشف (المعلومة) المهمة ، و(الخبر الصادق) الذي يثير الاهتمام ويزيح غمّة الشك .

وكان متحمّساً علينا أن نعود الى هذه المصادر لنرى وجه الحقيقة واضحاً وجلياً ، ولعلّ من أهمّ المصادر الموثوق بها الكتب التالية :

\* ( المسالك والممالك ) الذي ألفه (ابن خردادبه) في أواسط القرن الثالث للهجرة : (القرن التاسع للميلاد) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

\* و(الخراج وصنعة الكتابة) لقدامة بن جعفر (1)

\* و(معجم البلدان) لياقوت الحموي (2) .

\* و(مسالك الممالك) للاستطخري وعاش هذا العالم في القرن الرابع للهجرة : (القرن العاشر للميلاد) .

\* و(صفة جزيرة العرب) لابن الحائك (ت 945 م) .

\* و(صورة الارض) لابن حوقل : وعاش ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي ...

---

\* - نحن مداخلة الأديب الأستاذ رشيد الذواوي في الندوة النّويّة التي انعقدت عن ابن بطوطة بطنجة فيما بين 9 و 11 / 1997/5

قلت كان واجبا علينا أن نعود إلى مثل هذه المراجع ، لنرى بوضوح كيف إستقام استقرار الدولة الاسلاميّة في سالف العصور ؟ ... وكيف كانت تضبط الطرق والمسافات وتقع جباية الاموال ، وتتبلور دراسة الاقاليم من حيث المسالك والمباني وطرق الرّي وسواها ؟ ... الكتابة الجغرافيّة :

وإذا ما كانت هذه المصادر تفيدنا جدّا في أبحاثنا ومعارفنا ، فإنّه - والحقّ يقال - : أنّ للجغرافيين العرب آياد بيضاء في هذا الشأن ... إنهم بذلوا الجهد الوافر وقدموا الاضافات الواسعة .

وتمثّلت هذه الاضافات فيما بدا لنا من كتابات ( البلخي ) ، و ( ابن حوقل ) و ( الاسطخري ) و ( المقدسي ) ، و ( الهمداني ) و ( البيروني ) و ( ابن فضلان ) ، وان بعض كتاباتهم قامت على المشاهدة والحس ، بسبب ندرة الاحصائيّات ان لم نقل انعدامها .

فالهمداني مثلا ، اهتم بوصف ( جزيرة العرب ) ، و ( البيروني ) كانت له إضافة عن ( الهند ) ، و ( ابن فضلان ) وصف ( بلغاريا الفولغا ) وآخرون وضعوا ( المعاجم الجغرافيّة ) ... رأينا البكري كيف حدّثنا عن ( معجمه ) قائلا : " هذا معجم ما استعجم ذكرت فيه جملة ما ورد في الحديث والახبار والتواريخ والاشعار من المنازل والديار والقرى والأمصاّر والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات منسوبة محدّدة ومبويّة على حروف العجم مقيدة " (3)

ومن العلوم أنّ ( المعاجم الجغرافيّة ) بدأ ظهورها في القرن الخامس الهجري : ( الحادي عشر الميلادي ) ويرجع المسلمون فيها ، فيما بعد وبلغت ثروتها في القرن الثامن : ( ق 14 م ) من نوع ( نهاية الارب ) للزيري ، و ( صبح الاعشى ) للقلقشندي ، و ( مسالك الابصار ) لابن فضل الله العمري الخ ..

ومجمل هذه الكتب - وكما بدا عنها - اهتمت بشؤون الغمران عامة ومن ضمنها الموضوعات الجغرافيّة والسياسيّة ، ورأينا مؤلفيها أجهنوا أنفسهم في البحث عن ( المعلومة ) الموثوق بها ورتبوا ما وصل اليهم حسب العصور والعهود ، وهو جهد مشكور ومفصّل عن ذكاء واقتدار .

وهكذا يتّضح مما ذكرنا أنّ ( الكتابة الجغرافيّة ) في القديم مكّنت العرب من تدوين ( المعلومة ) وارتكزت على ما يسمع وعلى ما يشاهده لذلك رأينا العديد من ( الاعلام ) عتوا بتكوين ما شاهده ، وتوهّوا بـ ( المشاهدة ) كميزة وسمة في الثقافة العربيّة ... ومن هؤلاء : ابن حوقل الذي قال عن كتابه : ( صورة الارض ) : " وأعانتني على تأليفه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني ... الى أن سلكت وجه الارض بأجمعه في طولها وقطعت وتر الشمس على ظهر ... " (4)

وإذا ما كان توثيق المشاهدة بهذه الاهمية ، فانتا أيضا وجدنا من يعترض على بعض مؤلفات العرب ومنهم : ابن حوقل ، والادريسي ، وابن خرداذبة : من ذلك ما رأيناه في كتابات أبو الفداء صاحب ( تقويم البلدان ) ، فهذا العالم شنّ حملة على بعض الجغرافيين العرب ، ومنهم الاعلام الثلاثة الاول قائلا عنهم : " إنهم لم يحققوا الاسماء وغيرهم لم يحقق الاطوال » ويرى أبو الفداء أنه شخصيا تلافي هذا الأمر وحقّق ما سهوا عنه .



وفي رأبي أن كتاب ( تقويم البلدان ) لأبي الفداء يعد مرجعا هاما للجغرافية العربية الى عصره ( القرن الثامن للهجرة ) .

على أن التاريخ العربي يحتفظ لصاحب كتاب ( نزهة المشتاق في اختراق الافاق ) وهو الادريسي بوفرة المعلومات ودقتها على الرغم من أن الادريسي لم تتوفر له امكانية زيارة جميع البلدان الاسلامية ، ومع ذلك كتب عنها بدقة بفضل ما توفر له من مراجع ورسائل الزوار . ( 5 )  
واعتبر كتاب الادريسي نموذج حي الابتكار العربي في عصره الى أن جاء الرحالون الكبار فيما بعد .

### ـ العرب .. وطلائع الرحالين :

و « أدب الرحلة عند العرب » شكل محطة هامة في ثقافتنا ، حيث كان لونا من التفكير وأسلوبيا من المعاملة الحضارية الحية ، وساعد بالتالي على إثراء ثقافتنا وتجاربنا ومعارفنا .  
وإن معظم الرحالين من أمتنا أتوا على وصف حياة سكان البلدان التي زاروها ، وقيدوا مشاهداتهم وتنقلاتهم ، وقدموا الوجه الحسن وحالات الضعف أيضا ، ورأينا من هؤلاء ابن جبير الذي عاب على أهل دمشق في تحيتهم فقال عنهم : « وهذه الحالة من الانعكاف الركوني في السلام ، كنا عهدناه لقيثات النساء .. فيا عجباً لهؤلاء الرجال كيف تحلوا بسمات ريات الحجال ؟ » ( 6 )

وإذا ما كان ( للرحلة ولأدبها ) هذه الأهمية ، فإن ما يميز كتابتها ، هو ما ينقل وما يشاهد وما يتفرد به صاحبها من وصفه للجزئيات والدقائق .. ولعل هذا لاحظناه من خصائص في كتابات المقدسي ، أبو الفداء في كل ما يتصل بـ ( إقليم الشأن ) ، كما اكتشفنا سماتاً منه في ( رحلة ابن بطوطة ) بالخصوص حينما تعرض الى فلسطين ، وخصائتها ، ونقاط التنقيش في الطريق ، لأن ابن بطوطة قدم الى فلسطين براً من مصر ( 7 )

وإذا ما تحدثت مصادر التاريخ الاسلامي عن رحلات العرب والمسلمين وواقعها ، فإنها أيضا لغت النظر الى أن الكثير من ( أدب الرحلة ) ضاع ضمن الكثير من النتاجات العلمية الأخرى بسبب الغارات والحروب والاستعمار .

على أن ما وصل إلينا إلى حد الآن ما يفي بإبراز سبق العرب في هذا الشأن .  
ويبدو لي أن تجارة العرب ، وسياقتهم لاداء فريضة الحج ، وسعيهم الجاد من أجل اكتساب المعارف ، كان كله دافعا قويا لتواجد تلك المصادر وأولئك الرحالين ، وتلك الطلعات المتوالية في سلسلة ( أدب الرحلة ) .

وليس من الصدف أن تنتهي إلينا أخبار ابن وهب القرشي وسليمان السيرافي ، وأبو زيد ، أو نقرأ أثرا هامة لعلماء كبار كالادريسي والمقدسي و ( ابن رسته ) والعبدي ( 8 ) ، الذي تحدث عن الكثير من المدن التونسية بشيء من التفصيل وأبو محمد عبد الله بن محمد أحمد التيجاني .  
واليعقوبي ( 9 ) وعرف عنه أنه كان حريصا على تكوين ملاحظاته عن المجتمعات التي زارها فهو يشيد برحلته قائلا : « اني عنيت في عتفان شبابي بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأنني سافرت حديث السن ، واتصلت أسفاري ، ودام تغربي ، فكنت متى لقيت رجلا من تلك

البلدان سألته عن وطنه .. ومصره .. وبلده .. وزعره . » ( 10 )

وإذا ما كان العالم الاسلامي عرف رجالين كبارا كهؤلاء ... فإن ( المغرب الاسلامي ) يعتز هو الآخر بأحد الاعلام الكبار هو شيخ الرحالين : محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المشهور بـ : ( ابن بطوطة )

### ـ ابن بطوطة ابن مدينة ( طنجة ) البار :

وإبن بطوطة الرحالة الشهير هو ( جواب الافاق ) كما وصفه الدكتور ابراهيم أحمد العدوي ( 11 ) ولد في ( طنجة ) بالمغرب في 17 رجب 703 هـ ( 24 / 2 / 1304 م ) ، وشبّ في هذه المدينة التي أحبها وتعلق بها كثيرا .

وشبّ ابن بطوطة في أسرة دينية كما ذكر ذلك د . العدوي ( 12 ) سار على نهج أسرته حيث درس العلوم الدينية فيها ، كما تعلم الادب وفنون الشعر وصقلته هذه التربية ليصبح فيما بعد رجلا تقيا ورعا محبا للعلماء والاولياء والصالحين .

وقضى ابن بطوطة شبابه في ( طنجة ) وشبّ مع فتيانها ولم يغادرها الا وهو في الثانية والعشرين من عمره ( 13 )

ويقدمه لنا خير الدين الزركلي في كتابه ( الاعلام ) قائلا :

» ابن بطوطة ( 703 هـ – 779 هـ )

( 1304 م – 1377 م )

محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ، أبو عبد الله بن بطوطة :

رحالة ، مؤرخ ، نشأ في طنجة بالمغرب الأقصى وخرج منها سنة 725 هـ ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام ، والحجاز والعراق ، وپارس واليمن والجزير وتركستان ، وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر ، وأواسط إفريقيا ، واتصل بكثير من الملوك والأمراء ، فمدحهم وكان ينظم الشعر – واستعان بهيئاتهم على أسفاره – وعاد الى المغرب الأقصى ، فانقطع الى السلطان أبي عنان ( من ملوك بني مرين ) فاقام في بلاده ، وأملى أخبار رحلته على ( محمد بن جزي ) الكلبي بمدينة فاس سنة 756 وسماها ( تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ) ترجمت الى اللغات البرتغالية والفرنسية والانجليزية ونشرت بها ، وترجمت فصول منها الى الالمانية ونشرت أيضا ... وكان يحسن التركية والفارسية ، واستغرقت رحلته 27 سنة ( 1325 – 1352 ) ومات في مراكش ، وتلقب جمعية ( كمبردج ) في كتبها وأطاليسها بأمير الرحالين المسلمين ، وفي ( نابلس ) بفلسطين أسرة الآن ، تدعى ( بيت بطوط ) وتعرف ببيت المغربي ، وبيت ( كمال ) تقول أنها من نسل ابن بطوطة . ( 14 )

هذا هو ابن بطوطة ابن ( طنجة ) البار الذي تجنب الإشارة – ولو عرضا – الى طفولته والتي لا تعرف عنها الكثير ولا عن أسرته وحياته ، باستثناء إشارات له خاطفة في ( رحلته ) عن ابن عم له وهو : ( أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة ) : الذي التقى به في اثناء رحلته الى الاندلس ووجده هناك يشتغل قاضيا في بلدة ( رندة ) الاندلسية ( 15 )

قلت ابن بطوطة هذا المتوفي عام 1377م مازالت شخصيته محتاجة الى الكشف :

\* الكشف عن المزيد من أخبار أسرته الذي لم يشأ أن يحدثنا عنها ولو بالنزر اليسير .

\* والكشف عن التعليقات العاطفية ؛ إذ لم يشر ابن بطوطة مطلقا خلال رحلاته أنه فكر يوما بأهله وذويه إلا في أعقاب عودته من رحلته الآسيوية أي بعد مضي عشرين سنة على سفره ... (16)

\* والكشف على بواعث عودته الحقيقية ...

\* والكشف عن تجاهل ابن خلدون لمكانة ابن بطوطة وهو الذي كان معاصرا له وأشاراته في (المقدمة ) كانت تتم عن ريبة حيث يقول عنه : " ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من (مشيخة طنجة) يعرف (بابن بطوطة ) ؛ كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى الشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ثم انقلب الى المغرب ... (17)

وأخيرا لابد أيضا من معرفة المزيد عن دوافع ابن بطوطة من وراء هذا التجوال الطويل الذي يربو على خمسة وسبعين ألف ميل ومن أجله جعل البعض يلقبه بـ ( سيد الرحالة العرب والمسلمين ) ولم يكن يدانيه فيه سوى الرحالة (ماركوبولو ) البندقي (18) .

### ابن بطوطة الرحالة والمصالح :

وحينما نتفحص رحلة ابن بطوطة المسماة بـ : " تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار " ؛ فاننا لا نجد تلميحات تقيدنا أن ابن بطوطة كان ولوما بالتجارة ، أو له مطامح سياسية كابن خلدون ، أو هو شديد التعلق بأسرته ، أو أنه مارس أعمالا مهمة طوال رحلاته باستثناء بضع سنوات تولى فيها القضاء في بلاد السلطان محمد شاه ملك الهند وفي بعض ( جزر ذببة المهل ) <http://Archivebeta.Sakhril.com>

فبواعث الرحلة - وبالرغم مما اكتنفها من مشاق - تشير الى تدين ابن بطوطة ، وإلى اشباع رغبته في الترحال ، وفي جمع المعلومات عن الشعوب وعن أوضاعها الاجتماعية ، وتشير بالتالي الى حفاوة الشيوخ والقضاة والاولياء به في شتى الاقطار ، وتطلعنا على حياة عالم جليل وعلى لقائاته وغرائب ما شاهده هنا وهناك .

وابن بطوطة في هذه (الرحلة ) تعرض الى كرامات الاولياء ورجال الدين وكان يروي أخبارهم بايمان حار ، كما تعرض أيضا الى الدراويش وإلى الزوايا ورجالها ، وإلى المساجد والجوامع .. ولعل مقصده من ذلك هو أنه كان يريد أن يوحى الى الغير بأنه شخصية دينية ، ونو ثقافة واسعة .

### جولات ابن بطوطة في المشرق العربي :

و " الرحلة " التي أمر السلطان أبو عنان سلطان فاس كاتبه محمد بن جزى الكلبي بأن يصنفها في كتاب كتقدير منه لعلم ابن بطوطة واسعة ثقافته ، شملت أخبارا شائقة عن السلاطين

والفقهاء ، والقضاة ، وحفلت أيضا بالمبالغات ، حيث كان الخيال يزين المقولات ، وقاده هذا الخيال الى المبالاة الرخيصة وحتى الى الادعاء .. رأينا أمثلة عديدة في (الرحلة ) تشير إلى هذا كقوله : " لقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح عبد الله المصري وهو من الصالحين ، جال الارض ولم يدخل الصين ولا سرنديب ، ولا المغرب ولا الاندلس ، ولا بلاد السودان ، وقد زدت عليه بدخولي هذه الاقاليم " ( 19 )

وترحال ابن بطوطة شمل بلدانا عديدة منها : بلدان المغرب العربي ومصر وبلاد الشام ، وشبه جزيرة العرب ، والعراق ، وجزءا من الساحل الشرقي لافريقيا وتركيا ، وإيران ، وحوض الفولغا الادنى ، وتركستان وافغانستان ، والهند ، وجزر الملديف ، وسيلان ، وجزر الهند الشرقية وجنوب الصين ، والاندلس ، وأقطار غربي إفريقيا .

وأمام مشاهداته الواسعة في هذه الجولات : لقي الباحثون صعوبات في تحديد بعض مسارات المدن والمناطق ، وبالأخص في الصين ، وجزر المحيط الهندي وغربي إفريقيا ، ومما زاد في صعوباتهم ، عدم التزام ابن بطوطة بتسجيل اتجاهات سفره وقفزه بين الحين والآخر قفزات غير طبيعية ، بحيث يترك هذا الرحالة المتتبعين لرحلاته في حيرة حول بعض الاماكن التي اندثرت أو جاءت تسميتها مفلوطة مع الخرائط الحديثة (20)

وأملى ابن بطوطة رحلاته على الاديب محمد بن جزى الكلبي ، وانتهى هذا من كتابتها سنة 1356 م ، وقاسى في ترحاله من الوحدة وأصيب ببعض الامراض ... وفي ذلك يقول : " وتجردنا للسير ، ووصلنا الجد ، وأصابني الحمى ، فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف " (21) <http://Archivebeta.Sakhrit>

وفي ( الرحلة ) نجد أخبارا عن سطوة السباع في الهند ، وأخبارا عن نساء (سيلان ) ، حيث كن يلبسن ( قلاند من الباقوت الملون ) ، ووصف هذا الرحالة بعض عادات أهل الهند مثل احراق النساء حيث يقول : " ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا فساألتهم : ما الخبر ؟ .. فأخبروني بأن أحد الهنود مات واشتعلت النار لحرقه ، وامراته تحرق نفسها معه . ولما احترقا جاء صحابي وأخبروني أنها عانقت الميت حتى احترقت معه .. " (22)

وإذا ما كانت أخبار ( الرحلة ) ممتعة ، انطلقت من موطنه (طنجة ) بداية من سنة 725 هـ / 1325 م ، وأنه مرّ من تلمسان ، فمليانة ، فالجزائر فقسطنطينة ، ثم تونس وطرابلس فالاسكندرية ، أي أنه اختار ان يسلك طريق الساحل مع رفاهه بقصد الحج .

وإذا ما كان ابن بطوطة اتجه الى بعض القرى المجاورة للاسكندرية ك: (بني مرشد ) ، و (فروجة ) قصد التبرك برؤية الشيوخ والاولياء قبل أن ينتقل الى (دمههور ) ، ومدينة (أبيار) ،

و(المحلة الكبرى ، و(دمياط) ثم انتقل الى القاهرة ، وأعجب بـ (النيل) وبازدهار القرى والمدن حول ضفتيه ، واعتبره أحد أنهار الدنيا الخمس .

وبعد عديد الجولات في مدن مصر ؛ قصد ابن بطوطة الشام ... زار في البداية مدينة (غزة) ثم مدينتي (الخليل ) و (القدس) ، وأطال هذا الرحالة في وصف (الجامع الاقصى ) و (قبة الصخرة) ، ثم رحل منها الى (عسقلان ) و (الرملة) ، و (نابلس) .

كما قصد فيما بعد مدنا أخرى منها : (عكا) و(صيدا) ، و (صور) و (طبرية) ، و (بيروت) و (طرابلس) ، و (حصن الكراد) و(حمص) ، و (حماء) و (حلب) ، و (اللاذقية) و (حصن المرقب) ، و (الجبل الاقرق) ، ووصل الى (دمشق) سنة 726 م . وتحدث ابن بطوطة عن الكثير من معالمها ، كالمساجد والمدارس والارياض ، كما تحدث عن (الريوة) وعن (جبل قيسون) وقضى عاما كاملا في (دمشق) وتحدث أيضا عن الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية فيها وقال عن (الجامع الاموي) بها : هو ( أعظم مساجد الدنيا بهاء ، وأتقنها صناعة ، له قبة هائلة ، ترى من أي جهة في المدينة )

ووصف مدينة (دمشق) بقوله : « انها جنة المشرق ، وعروس المدن تحديق بها البساتين احداق الهالة بالقمر » ( 23 )

ورحل ركب ابن بطوطة الى ( الحجاز ) عن طريق ( عقبة الصوان ) و ( تبوك ) ثم قصد ( العلا) ، وبعد ذلك دخل ركبـه ( المدينة المنورة ) وأفاض ابن بطوطة في وصف ( مسجد الرسول الاعظم ) ، وفي الحديث عن رجال الدين المقيمين في ( المدينة ) كما تحدث عن ( مكة ) وعن ( المسجد الحرام ) وعن الجبال المحيطة بالكعبة المكرمة .  
وبعد ( مكة ) زار ( العراق ) ، وتحدث بأطناب عن مسجد الامام علي بـ ( النجف ) ، وعن ( مدينة البصرة ) .

وأثر زيارة مدن عديدة في ( العراق ) زار مدنا إيرانية منها : ( شيراز ) و ( أصفهان ) و ( الزيندين ) ، ومنها عاد إلى العراق ثانية ، فزار ( الكوفة ) وشاهد حدائق نخلها العجيبة ، كما حل ركبـه بـ ( بغداد ) وبـ ( الموصل ) فيما بعد .

ومن المدن العربية التي ارتحل اليها ابن بطوطة في المشرق العربي مدينة ( صنعاء ) ، ووصفها وصفا دقيقا ، وتحدث عن سوقها وعن الاشجار والفواكه والزرع ، كما زار ( عدن ) وقال عنها : انها مرسى بلاد اليمن ولا مدخل لها الا من جانب واحد ، وقال عن أهلها انهم تجار ، وجمالين وصيادي سمك .. وتجارهم لهم أموال عريضة .  
كما ارتحل الى مدينة ( ظفار ) في الساحل العماني ، والى مدينة ( الاحقاف ) ، وامتازت هذه المدينة ببساتين الموز ، كما زار ( هرمز ) و ( البحرين ) وغيرها من مدائن المشرق .

## ـ ثمار رحلة ابن بطوطة

شيخ الرحالين : ابن بطوطة المتوفي عام 1377 م قضى ثمانية وعشرين عاما من حياته يتنقل في أجزاء كثيرة من العالم و أمضى أكثر من نصف عمره وهو يتجول ويختزل في ذاكرته المشاهد والاخبار والصور .

وفي بلاط أبي عنان المريني تحدث هذا الرحالة عن أسفاره وعما شاهده في هذه الاسفار ، وعلى من التقى بهم ، وأعجب السلطان بما سمع ، ولذلك صدرت إرادته الى الرحالة بأن يملئ ما شاهده على كاتبه ( ابن جزي ) ووضع هذا الكاتب تحت تصرف هذا الرحالة والعالم . وكما هو معلوم فان ابن بطوطة كان فقد أوراقه أكثر من مرة في هذا الترحال ؛ ولذلك أملى " الرحلة " من (الذاكرة ) ... ومن هنا بدا في الرحلة شيء من الخلط الذي أثار بعض الريب من معاصريه ومن جاء بعدهم مثل ابن خلدون .

ومن ثمار رحلة ابن بطوطة أنها كانت ( شهادة على عصره ) وحافلة بالمعلومات ، وكانت قليلة الحفاوة بالأرض والمدن في حين كان اهتمامها عظيما بالناس وخاصة بالعلماء والاولياء ، فبهذه الصورة يمكن ان نعد ابن بطوطة مؤرخا اجتماعيا للمسلمين في عصره (24) . وإذا ما كان الرحالة العرب والمسلمون صنفين :

(أ) صنف يطوف البلدان لهدف علمي ليسجل المعلومات الجغرافية والاجتماعية عنها تسجيلا أميناً  
(ب) وصنف يسرح في الاقطار لغرض تجاري أو سياسي أو ديني ثم يوفن مشاهداته في كتاب ، ويقلب على مؤلفات هؤلاء الطابع الوصفى .  
أما ابن بطوطة فيعتبر في مقدمة أولئك الرحالة جميعا لأنه قدم لنا عملا رياديا دقيقا وأميناً .

نعم هذا العمل أثار أحيانا بعض الشكوك لدى بعض المستشرقين لا سيما فيما يتعلق بزيارته لبلاد الصين ولمدينة القسطنطينية ... لكن ، بقدر ما تحتاج رحلة ابن بطوطة الى تقييم جديد بقدر ما هي غنية بالمعلومات الجغرافية ، والانثروبولوجية ، والتاريخية ، وهي مزجحة أيضا بالحكايات الجغرافية .

والذي يطلع على (الرحلة ) من أولها الى آخرها يرى أن مقدمتها وخاتمتها كتبتا بعبارة فيها شيء من التتميق والسجع ، وكذلك كل مقدمة لوصف مدينة عظيمة كالقاهرة ودمشق ويبدو أن هذه المسحة هي من أسلوبي ابن جزي .

أما (الرحلة ) ذاتها فابن بطوطة كان واصفا لما شاهده وكان دقيقا في معلوماته وتعقب فيها كل مآراه ، وعباراته كانت سهلة وفصيحة ودلت عن معاشته الحقيقية للاحداث ولما رآه .

## المصوّمات

- (1) قدامة بن جعفر : (888 - 984 م) كان له فضل كبير على الثقافة والأدب العربيّة وترك عدّة آثار منها : ( نقد النثر ) ، و ( نقد الشعر ) ففي الشعر أوضح قدامة عناصره الأربعة : (اللفظ ، الوزن ، والقافية ، والمعنى ) وحديثه عن الشعر كان بمثابة بناء هيكل منطقيّ تصوّره ( قدامة ) يعقله المجرد ليس إلّا . أنظر ( تاريخ الأدب العربي ) : حنا القانوني ط بيروت 1951 ص 761 و (الجغرافية والرحلات عند العرب) : ونقولا زيادة ط بيروت 1987 ص 12.
- (2) ياقوت الحموي : يعد من أئمة المؤرّخين والجغرافيين كان رومي الأصل وعاش مولى في بغداد وله مؤلفات عدة منها ( معجم البلدان ) في الجغرافية و ( المبدأ والمآل ) في التاريخ ، و ( إرشاد الأديب ) أو (طبقات الأديباء ) في الأدب ... وياقوت في ( معاجمه ) كان جامعاً ومختصاً لأقوال من سبقوه .
- (3) راجع ( معجم ما استعجم ) : عبد الله بن عبد العزيز البكري ط القاهرة 1950 ص 1
- (4) انظر (صورة الأرض) : ابن حوقل ط لينن ص 3 و 4
- (5) الإدريسي كتب ( نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ) في بلاط صقلية وملكها ( روجر الثاني ) عام 1154 م واعتبرت خرائطه وثائق هامة في تصوير الدنيا منذ القرن الثاني عشر ميلادي .
- (6) راجع (رحلة ابن جبّير) : أبو الحسن محمد ط لينن عام 1907 ص 296
- (7) انظر (الجغرافية والرحلات عند العرب) : دكتور نقولا زيادة ط بيروت 1987 ص 16
- (8) العبدري : هو محمد بن محمد بن علي وينسب إلى ( عبد الوار ) وهو من ( بلنسية ) بالاندلس ، ووصف العبدري مدناً عربية عديدة منها قسنطينة وتونس وتلمسان والجزائر ، وعن المعلوم أنّه كان كثير الدقة فيما كتب ، وبدأ رحلته سنة 688 هـ / 1289 م .
- (9) اليعقوبي : هو أحمد بن يعقوب وله : ( كتاب البلدان ) ط لينن سنة 1891 ، وتنقل هذا الرحالة في بلدان عديدة ، واكتسب تجارب مهمة في أسفاره : ( د سنة 284 هـ / 897 م )
- (10) راجع كتاب البلدان لأحمد بن يعقوب ط لينن 1891 ص 232
- (11) انظر ( ابن بطوطة في العالم الإسلامي ) د العنوي سلسلة ( اقرأ ) ط مصر ( دار المعارف ) عدد 144 ص 5
- (12) المرجع نفسه ص 7
- (13) انظر مقدمة رحلة ابن بطوطة المسماة ( تحفة النظّار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ) ط دار الكتاب اللبناني بالقاهرة ص 3 ، وكتاب ( ابن بطوطة ورحلته ) : الدكتور شاكر خصيباك ط بيروت ص 17
- (14) ( الإعلام ) : خير الدين الزركلي ط 3 ج 7 ص 114 و ( دائرة المعارف الإسلامية ) ج 1 ص 99
- (15) انظر (رحلة ابن بطوطة) ج 1 ص 188
- (16) انظر ( ابن بطوطة ورحلته ) ص 18
- (17) راجع مقدمة ابن خلدون ( المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ص 181 )
- (18) انظر : ( ابن بطوطة ورحلته ) : د شاكر خصيباك ص 5
- (19) المصدر ( الرحلة ) ج 1 ص 5
- (20) راجع ( ابن بطوطة ورحلته ) : د شاكر خصيباك ص 19
- (21) أصيب ابن بطوطة بالحمى في مدينة ( بجاية ) وشفي وهو على مشارف مدينة تونس : انظر ( الرحلة ص 3 )
- (22) انظر ( الرحلة ) ص 6
- (23) انظر : ( ابن بطوطة في العالم الإسلامي ) : د ابراهيم العنوي ص 20
- (24) انظر : ( الجغرافية والرحلات عند العرب ) : د نقولا زيادة ص 190

# العولمة وصيرورة الإنخراط في سيرورتها

بقلم : لطفي بن عمر جمعة

«...إنَّ تصورنا للعولمة ينطلق من اعتقادنا بأنَّها المآل المنطقي لما يشهده العالم من ثورة تكنولوجية واتصالية وتحرير للاقتصاد والتجارة الدولية وتفاعل للثقافات وتلاحقها وهو ما حول العالم إلى « قرية صغيرة » متفتحة على مختلف مكوناتها ..»

سيادة الرئيس زين العابدين بن علي  
من خطاب بتاريخ 4 نوفمبر 1996

برزت في السنوات الأخيرة مفاهيم إقتصادية جديدة عكست ما يشهده العالم من تحولات سياسية وإقتصادية وتجارية وتطور تكنولوجية الاعلامية والاتصالات . كما كثر الحديث في الآونة الرانة في تونس عن هذه المفاهيم الجديدة في العلاقات الإقتصادية الدولية وبالأخص في العلاقات الإقتصادية التونسية الدولية . وهو يعكس ما يشهده الإقتصاد التونسي من تحولات وتغيرات وما يواجهه من تحديات كسب رهان التأهيل والإنخراط في الإقتصاد العالمي ومن هذه المفاهيم التي قد تبدو متشابهة إلى حد أنه يمكن الخلط بينها كمفاهيم التحويل والعولمة والكوكبة فما هو مفهومها ؟ وماهي أسباب العولمة وانعكاساتها ؟ وماهي الخطى التي خطتها تونس للدخول في حركية العولمة ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## مصطلحات ومفاهيم

### مفهوم التحويل

يرتبط هذا المفهوم بالتطور العلمي والتكنولوجي حيث في « ظلَّ الثورة العلمية لم يعد الوعاء القطري كافيا لتوسيع الإنتاج ولم تعد السوق القطرية مهما يكن إتساعها كافية لإحتواء حركة السلع والخدمات ورأس المال والعمل وهكذا يجري تحويل مضطرد الحياة الإقتصادية في كل بلد على حدة . يتخطى الإنتاج الحدود القطرية والقومية ويكتسب رأس المال طابعا دوليا وتنمو المشروعات والحضارة المتخطية للقوميات لتصبح هي القوة المحركة الجبارة للتركيز الصناعي والمالي في الأسواق التي أصبحت عالمية حقا ... فتحويل الحياة الإقتصادية إذن هو الشكل المحدد الذي يكتسبه تقسيم العمل الدولي وهو الشكل المحدد للطابع الجماعي الدولي للإنتاج وهما معا يشكلان القوة المحركة لمسار الإقتصاد الدولي . » ( 1 )

### مفهوم العولمة

تعني العولمة L'internationalisation أو عولمة الأنشطة القطاعية الإقتصادية السلعية والخدمية والمالية والنقدية والتقنية والتكنولوجية حركية مستمرة ( أو سيرورة متواصلة ) ( 2 )



Processus تابعة من إرادة عالمية وقومية ( أو كلية ومختارة من لدن البلدان المعنية ) ( 3 )  
 غايتها الاندماج المستمر في الأسواق العالمية ( سوق البضاعة والخدمات ورأس المال ) ( 4 )  
 يعني الاندماج في الاقتصاد العالمي الحر الذي تسوسه آليات السوق المرتكزة على العرض والطلب  
 والمنافسة التامة والخالصة ( 5 ) لاقتناع عالمي وقومي في بعض الأحيان على أن هذا الاندماج  
 ناجع لكل بلد ولكل مجموعة من البلدان لأنها تعتقد أن هذا الاندماج يمكنها من بلوغ أعلى نسبة  
 ممكنة من النمو الإقتصادي في كنف الإستعمال الأمثل للموارد المادية والبشرية ( 6 )

### مفهوم الكوكبة

إنّ التغير في شكل إنفتاح الإقتصاديات على الخارج الذي أصبح يأخذ مظاهر مختلفة :  
 الإنفتاح النقدي والمالي والتكنولوجي والجمركي قد غير من المفاهيم وأعطى لعملية العولمة مظهرا  
 جديدا يسمى الكوكبة GLOBALISATION ECONOMIQUE التي تعتبر مرحلة  
 جديدة في تقدم ظاهرة العولمة وما يميز ظاهرة الكوكبة تعدد أنماط العولمة فزيادة على عولمة  
 التبادل والإنتاج السلمي والقدرات الفكرية والإمكانيات المالية والإستثمارات في شتى الميادين  
 نلاحظ تعدد التحالفات الإستراتيجية من شراكة وخلق الشبكات العالمية (7)

### الفرق بين هذه المصطلحات ومدلولاتها :

تبدو هذه المفاهيم متشابهة إلى حدّ أنّه يمكن الخلط بينها لاعتبار بعضها له نفس المعنى مع  
 فرق طفيف وبعضها يختلف باختلاف خصوصياته

### التدويل والعولمة :

إنّ التدويل هو العولمة باعتبارها تعني تدويل الإقتصاديات في العالم ولو أنّ كلّ مفهوم منها  
 يناسب فترة معينة من الزمن أمتازت فيها العلاقات الإقتصادية بخصائص معينة فالتدويل يناسب  
 ما كان يحدث في فترة الخمسينات والستينات ولا يناسب ما يحدث اليوم فهو يركز على فكرة  
 تبادل التجارة بين الدول أي بين بلدان لها كيانها السياسي وحدودها الوطنية فالتجارة السلعية  
 تجرى بين البلدان . إلا أنّ العولمة تناسب إلى حدّ ما ما كان يحدث منذ السبعينات إلى اليوم فهي  
 تركز على فكرة عالمية الإنتاج الذي تحتكره الشركات المتعددة الجنسيات (8) فالعولمة يمكن  
 اعتبارها مرحلة متقدمة من التدويل .

### العولمة والكوكبة

يمكن التفريق بين العولمة أو تدويل الإقتصاديات في العالم و الكوكبة فكلّ منهما خصوصياتها  
 فالكوكبة تعتبر مرحلة جديدة في تقدم ظاهرة التدويل أو العولمة (9) وهي تختلف عن العولمة من  
 ناحية طبيعة الإستراتيجيات العالمية ومن ناحية التحالفات الإنتاجية وإقتحام كلّ نشاطات الإنسان  
 إذ أنّ الشركات الكوكبية والشبكات العالمية عرفت الشركات المتعددة الجنسيات وما التكتلات  
 الدولية التي بصدد التشكل اليوم وستتشكل في الغد القريب إلاّ تحضير لكوكبة أوسع (10)

### تاريخية ظهور هذه المصطلحات والمفاهيم

لقد ظهر مفهوم التدويل خلال الخمسينات والستينات إذ أنّه مصطلح يناسب ما كان يحدث  
 خلالها كما سبق ذكره فالتدويل أو الدولة سبقت تاريخياً العولمة فالإقتصاد الدولي يعني حسب

هذا المفهوم إرتباط دولتين أو أكثر إقتصادياً وهذا ما ظهر بوضوح بعد الحرب العالمية الثانية خصوصاً (11) وهناك من علماء الإقتصاد من ذهب إلى أن التّداول في الإقتصاديات بدأ تاريخياً بتبادل السلع والمنتجات المادية على نطاق دولي ... بل إن سميير أمين يقول بأنه " بدأت مسيرة التّداول الكونية منذ خمسة قرون باكتشاف أمريكا " ... والواقع أن الإتجاه الموضوعي نحو التّداول لم يبدأ إلا في ظلّ الرأسمالية (12) وبالتحديد بعد الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا .

لقد أصبح الإقتصاد عالمياً وظهر بذلك مصطلح العولمة منذ التوقيع على إتفاقيات جولة الأرجواي في أفريل 1994 بمرآكش وانبعثت المنظّمة العالمية للتجارة في 25 جويلية 1994 (13) بل يمكن القول بأنّ العولمة بدأت تبرز بعد الثورة العلمية والتكنولوجية والتي تعتبر ثورة ثالثة عرفها تاريخ البشرية بعد الثالثة الثورة الصناعية والأولى ثورة العصر الحجري الجديد . والعولمة هي من النّاتج الإقتصادي للثورة العلمية والتكنولوجية

أما مفهوم الكوكبة فقد بدأ يبرز في الأدبيات الإقتصادية ولم يتبلور بعد منذ أوائل التسعينات وخاصة بعد بروز النّكّلات الدّولية مثل النّكّتل الأوروبي والأمريكي المكسيكي والياباني .

### ظاهرة التّدويل

لقد صارت في عصرنا دورات الإنتاج والتّبادل والتّوزيع والإستهلاك دورات عالمية كونية بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية التي أحدثت في الواقع عمليتين بالغتي الأهمية : الأولى هي تجديد وتوسيع قوى الإنتاج والثانية هي تدويل هذه القوى الإنتاجية التي من أجل أن تتجدد وتتوسّع لابد من أن تتخطى الحدود القومية لكل بلد من بلاد العالم ومن ثم أخذت تتشكّل :شكال عديدة من صور التّدويل الإقتصادي مثل : تدويل العمل وتدويل الإنتاج

#### تدويل الإنتاج

إنّ عملية الإنتاج أصبحت تنظّم على مستوى دولي بدلا من المستوى القومي ... كما أنّ الإنتاج وإعادة الإنتاج لم يعودا ممكنين إلا على مستوى دولي ... والواقع أنّ تركيز الإنتاج الحديث يتخطى الحدود القومية فالإنتاج الحديث هو إنتاج كبير قد زاد إلى حد أنّ الأسواق القومية أصبحت أضيق من أن تسمح ب مزيد من زيادة الإنتاج أو تحقّق أقصى الأرباح كما أنّ الحد الأمثل للإنتاج الكبير صار يتطلّب تخصّصا دولياً وتعاوناً بين المشروعات في البلدان المختلفة المرتبطة بإدارة موحّدة ويساعد على ذلك وجود تكنولوجيات جديدة للإشراف على الإنتاج والبرمجة والمواصلات جعلت من الممكن إدارة المشروعات الكبرى في العالم من مركز واحد . ومن هنا كان إتجاه القوى الإنتاجية الحديثة لكي تصبح دولية .

#### تدويل رأس المال

أما تدويل رأس المال فإنّ شكله الأساسي هو المشروعات متعدّدة الجنسيات نفسها وانعكاسها في صورة المديونات الخارجية ويكون الإتجاه إلى تدويل رأس المال في مجالين : أولهما الاستثمار الأجنبي المباشر أي حركة رأس المال في التصدير . فتصدير رأس المال يحتلّ

اليوم مكانة رفيعة في نشاط النّظام المصرفي الدولي وذلك بزرع الوحدات الإنتاجية خارج الحدود القطرية وثانيهما حركة رأس المال للتّمول والإقراض فإنّه يجري حالياً تمويل رأس المال لأغراض التّمول والإقراض في إطار عملية تمويل المصارف (14)

### **أسباب العولمة أو التّدويل**

من بين أسباب العولمة نذكر ما يلي :

#### **1 - الثورة العلميّة والتكنولوجيا**

تتمثل الثورة العلميّة والتكنولوجيا في تلك التّغيرات الثّورية التي تحقّقت في مجالات عديدة في مقدّمتها الإلكترونيات الدقيقة والآلات الحاسبة والإنسان الآلي وصناعة المعلومات والاتّصالات والطاقة النوويّة وتكنولوجيا الفضاء والطيران النّفاث ... تلك هي ثورة تكنولوجيا المعلومات . وثاني هذه المجالات هو استخدام منجزات على الأحياء والهندسة الوراثية وأبحاث الفضاء وتلك هي ثورة التكنولوجيا الحيويّة . أمّا ثالث مجالات الثورة العلميّة التكنولوجيا فهو مجال تخليق المواد الجديدة وإحلالها محل المواد الطبيعيّة القديمة على أساس التكنولوجيا الكيميائيّة والبيروكيميائيّة وترشيد الاستخدام للموارد الطبيعيّة وخصوصاً موارد الطاقة وهذه هي ثورة تكنولوجيا المواد .

#### **ثورة تكنولوجيا المعلومات**

وهي تتعلق بجمع وتوصيل وتخزين وإستعادة ومعالجة وتحليل المعلومات وتقوم على الرّبط بين التكنولوجيات المبنية على الإلكترونيات الدقيقة وصناعة المعلومات

#### **ثورة التكنولوجيا الحيويّة**

لقد تشكّلت هذه التكنولوجيا الحيويّة نتيجة إحداث تغييرات مدفوعة اصطناعياً في النشاط البيولوجي للخلايا بهدف الحصول على منتجات أو عمليات جديدة . ولقد أدّت كشافات المعرفة والمعلومات والتطورات في مجالات الهندسة الوراثية القائمة على إحياء الخليّة في النّبات والحيوان صارت تعني الكثير بالنّسبة للإنسان إنّها تعني ثورة تكنولوجيا في الرّعاية فمن مجالاتها الواعدة تنمية بذور ذات صفات مرغوب فيها بالإنتاجية العليا والمقاومة الفعّالة للأمراض والأفات ... ونفس الشيء في مجال الانتاج الحيواني عن طريق عملية الإستنساخ لضمان أن يولّد حيوانات طبعا للجنس المطلوب .

#### **ثورة تكنولوجيا المواد**

هي الثورة الكيميائيّة والبيروكيميائيّة حيث يتمّ إستخراج المواد الجديدة بلا حدود بدلا من المواد الطبيعيّة النّابضة أو المحدودة فالكيمياء بذلك أصبحت أرض المستقبل (15)

#### **2- التحوّلات السياسيّة : إنهار المعسكر الشرقي**

شهد المعسكر الشرقي منذ قمة مالطا في ديسمبر 1989 التي جمعت بين رؤساء الإتحاد السّوفيّاتي وأمريكا تغيّرات جوهرية فقد إنهار الإتحاد السّوفيّاتي وسقط جدار برلين وتوحّدت ألمانيا هذه التغيّرات خلقت نظام القطبية الأحادية مكان القطبية الثنائية التي كانت تحكم العالم

#### **3- الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركيّة والتجارة**

من أجل إعادة الرّوح إلى المبادلات بعد الحرب العالميّة الثانية وتنظيم السّوق العالميّة وإزالة

الحواجز الكثيرة التي أقيمت إقتصادياً في سنوات الحرب قررت الدول الثلاث والعشرون أعضاء الإتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة " الجات " عام 1947 وضع معايير للتبادل وذلك بكتابة مجموعة من القواعد الأساسية للتبادل الحر ومنذ ذلك التاريخ عقدت جولات إضافية أخرى كثيرة : في أنسي ( فرنسا ) عام 1949 ، في تركيا ( بريطانيا ) عام 1951 ، في جنيف عام 1956 ، في دياون منذ عام 1962 ، إلى عام 1967 ، في طوكيو من عام 1973 إلى عام 1979 ... وإستهل أعضاء الجات أعمال الجولة الثامنة من المفاوضات في الأوروغواي عام 1986 وكان الهدف الرئيسي من هذه الجولة خفض التعريفات الجمركية ورفع الحواجز وقد انتهت المفاوضات بعد سبع سنوات في جنيف وتم توقيع النظام الجديد في أبريل 1994 بالمملكة المغربية (16)

### المنظمة العالمية للتجارة

وبالتوقيع على إتفاقية جولة الأوروغواي في أبريل 1994 بمراكش انبثقت المنظمة العالمية للتجارة بالتحديد في 25 جويلية 1994 وقد انظمت إليها أكثر من 125 دولة من القارات الخمس واتفق على أن تكون مدينة جنيف ( سويسرا ) مقرها الدائم وتسهر هذه المنظمة على تنفيذ هذه الإتفاقيات التي دخلت حيز التنفيذ بداية من جانفي 1995 والتي نصت على ثلاث محاور أساسية

- تحرير التجارة الدولية : إنخفاض ثلث (1/3) المعاليم الجمركية بين الدول التي تخص البضائع المصنعة وإزالة العراقيل غير الجمركية وتحولها إلى عراقيل جمركية ثم التخفيض في نسبتها وهذا يخص البضائع ومنتجات النسيج ( تخفيض الدعم على المنتجات الفلاحية التي تسوق عالميا 21٪ بالنسبة للبلدان المتقدمة و 13٪ بالنسبة للبلدان التي في طريق النمو )

- تحرير تجارة الخدمات التي أصبحت خاضعة لقاعدة الدولة الأفضل شأنها LA NATION (TRAITEMENT LA PLUS FAVORISABLE) وقاعدة المعاملة المتساوية (EGALITAIRE)

- الملكية الفكرية العلمية والتقنية : المصادقة على الاتفاقيات الدولية في هذا المجال لدعم حماية الملكية الفكرية والعلمية ( لمدة تتراوح بين 20 و 50 سنة ) واعتبار بعض البضاعة المتداولة سابقا ملكية تقنية ( العلامة الجارية واللوجسيال (LOGICIELE) وغيرها . (17)

### انعكاسات العولمة

العولمة عملية لا مفر منها ولا يمكن إلا التكيف معها وهذا التكيف هو أمر ممكن " ولئن كانت لها انعكاسات إيجابية على تحرير الاقتصاد والتبادل التجاري وتوفير الفرص لدفع التنمية فإن لها أيضا أثارا اجتماعية سلبية قد تنجم عن الاقتصاد على مقاييس الجدوى الاقتصادية وعن التحولات السريعة وما يصاحبها من بطالة وتهميش لبعض الشرائح العاجزة عن مواكبة نسق التطور " (18)

### الانعكاسات الإيجابية

يمكن أن نستخلص هذه الانعكاسات الإيجابية في التالي :

- الرفع من مستوى الدخل الفردي

- الرفع من انتاجية اليد العاملة

- تطور نمو التجارة الدولية فالمتوقع أن يكون ما بين 6 و 8٪ في غضون العشر سنوات القادمة

- ازدياد حجم الاسواق المالية والتشايك بينها

- نمو الخدمات وقد نمت تجارة الخدمات بقدر 7,7٪ خلال فترة 1993/80 ومن بين الخدمات

الجديدة ما يسمى الخدمات الخاصة وخاصة في الطب وهي الخدمات التي تسدى عن بعد

- زيادة توجه رؤوس الأموال الخاصة على المستوى العالمي نحو البلدان النامية وخصوصا منها الآسيوية (19)

- توفير الفرص لدفع تنمية البلدان السائرة في طريق النمو

**الانعكاسات السلبية**

يمكن أن نستخلص هذه الانعكاسات السلبية والتي تتحصر أساسا في المستوى الاجتماعي والتي منها :

- عدم ضمان تمويل أنظمة الحماية الاجتماعية في المستقبل مع العولة في الدول الصناعية والدول النامية على حد السواء

- البطالة وتهميش لبعض الشرائح العاجزة على مواكبة نسق التطور

**الإقتصاد التونسي والعولة**

الخطى التي خطتها تونس نحو العولة

إنّ العولة سيرة إختارها تونس العهد الجديد وخطت خطوات ثابتة في مسيرة الانخراط في طريق العولة ومن الخطوات الجريئة المتخذة

**1- هيكلية الاقتصاد**

أقرت تونس برنامج إصلاح هيكلي واسع النطاق تضمن إلى جانب إجراءات قصيرة المدى ترمي إلى الحد من تدهور الوضع مجموعة من الإصلاحات الهيكلية الهادفة إلى ملاءمة الاقتصاد مع الوضع الجديد السائد وذلك بإضافة مزيد من المرونة على نواحي الاقتصاد وتحرير المبادرات ورد الاعتبار لآليات السوق ولقد مثل هذا البرنامج حجر الزاوية لفترة ما بين 1987 و 1991 \* (20)

**2- الانخراط في منظمة التجارة العالمية**

قد كانت تونس من بين الدول العربية والإفريقية السباقة في الانخراط في منظمة التجارة العالمية وقد انخرطت فيها سنة 1994

**3- إتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي**

استعدادا للإندماج في إقتصاد السوق والسعي للتقدم بخطى ثابتة في سيرة العولة أقدمت تونس على توقيع إتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي سنة 1995 من أجل إقامة منطقة للتبادل الحر خلال 12 سنة والتي تنص على زيادة تحرير العلاقات التجارية بين الطرفين وتعزيز التعاون

## المالي والتقني 4- التأهيل الشامل

لتأمين بحث منطقة التبادل الحر مع المجموعة الأوروبية والاستعداد للإنخراط في الإقتصاد العالمي وضعت تونس برنامجاً للتأهيل الشامل يركز على تأهيل المؤسسات الصناعية في مرحلة أولى تليها مرحلة ثانية لتأهيل القطاع الفلاحي سنة 1999 كما يتحتم تأهيل محيط المؤسسة بالكامل من إدارة ونقل ومواصلات وينوك بما يدعم حفظ المنتج التونسي لكسب المنافسة والمساهمة في تنمية الصادرات وتنشيط الدورة الاقتصادية ويؤهل بلادنا لبلوغ مصاف البلدان المتقدمة في مستهل القرن القادم (21)

## 5- نمو الناتج المحلي الإجمالي

من النتائج المسجلة أثناء فترة المخطط الثامن 1996/92 تحقيق نمو الناتج المحلي الإجمالي بمعدل سنوي يبلغ 4,6٪ مقابل نسبة متوقعة ب 6٪ مع ارتفاع متواصل للصادرات بنسبة 6,7٪ سنوياً بالأسعار القارة وقد مكّنت الإنجازات المسجلة من دعم الإصلاح الذي تم إقراره في نطاق البرنامج الهيكلي (22)

## 6- تطور الاستثمار الأجنبي

قد حرصت الدولة منذ التّغيير على توفير مزيد الإحاطة والرعاية والتسهيلات للمستثمرين الأجانب من خلال تبسيط الإجراءات وإزالة العراقيل وتوفير التشريعات الملائمة والمشفعة الأمر الذي "ضعف حجم الاستثمارات الخارجية في السنوات الخمس الأخيرة أربع مرات بالنسبة لما كانت عليه خلال الخماسية السابقة" (23) فلقد بلغ حجم الاستثمارات الخارجية المباشرة المنجزة في تونس خلال فترة 1995/92 حوالي 1973 مليون دينار بمعدل 493 مليون دينار في السنة مقابل معدل 84 م خلال الفترة 1991/71 ويحتل الإيطاليون المرتبة الأولى من حيث نسبة الاستثمارات والفرنسيون في المرتبة الثانية (24)

وخلاصة القول فإنّ العالم أصبح بمثابة القرية الكونية نتيجة تطور وسائل النقل والمواصلات وتكنولوجيا المعلومات ورمزها وقوامها الكمبيوتر ومن طرق سيطرة الإتصال وأنترنات وهي من العوامل التي سهّلت سيورة عولة الإقتصاد " في نطاق نظام عالمي جديد أصبحت فيه المواجهة تتخذ أشكالا إقتصادية وتجارية وهو ما أدّى إلى دعم المؤسسات الإقتصادية العالمية مثل صندوق النقد الدولي والبنك العالمي وإحداث المنظمة العالمية للتجارة المدعوة إلى احتلال موقع مميّز على الساحة الدولية " (25) . وفي هذا الإطار سعت تونس العهد الجديد إلى التآلف مع هذه التحوّلات والسعي إلى الانخراط في الاقتصاد العالمي بخطى ثابتة وكسب رهان الإنخراط في العولة كما نجحت في إعادة هيكلة الإقتصاد الأمر الذي أهلها لتوقيع إتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي والإستعداد لإقامة منطقة للتبادل الحر معه وتطبيق برنامج التأهيل الشامل الذي خلط فيه تونس شوطا كبيرا نتيجة لحسن الإختيارات والتوجّهات والإعتماد على نموذج تونسي بحث متميّن يبنّي على إقامة مجتمع متوازن ومتضامن قادر على " الإسهام من موقع الفعل في مشروع كوني مشترك إنطلاقا من هوية راسخة وسيادة وطنية ثابتة " (26) وعلى

تحقيق تنمية مستدامة يحتلّ فيها العنصر البشري باعتباره الثروة الأساسية للبلاد مكانة محورية (27) وهو نموذج من العولة على الطريقة التونسية .

## الهوامش :

12. 14 - 15 د. فؤاد مرسي ، " الرأسمالية تجدد نفسها " ، سلسلة عالم المعرفة ، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مارس 1990 (ص 8 - 71 ) ( 71 - 111 ) ( ص 112 - 114 - 126 ) ( 37 - 45 )
- 2 - 3 - 4 - 5 مقال لد. عبد الفتاح العموس ، " الاقتصاد التونسي في سيرة العولة " ، جريدة الصحافة (الملحق الاقتصادي ) - 12 نوفمبر 1996 ص 8
- 6 - 11 - 13 - 17 - 19 مقال لعبد السلام دمي ، " ما العولة ؟ " جريدة الصحافة ، الملحق الثقافي ( ورقات ثقافية ) عدد 120 - 8 نوفمبر 1996
- 7 - 8 - 9 - 10 جريدة الصباح 25 افريل 1996 ( الصباح الاقتصادي )
- 16 - د. بلال ايوب ، " الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة " المجلة العربية للعلوم العدد 25 السنة 13 جويلية 1995 ص 9
- 18 - خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي في افتتاح الندوة الدولية الثامنة للتجمع الدستوري حول « عولة الاقتصاد وبلدان المتوسط » 5 نوفمبر 1996
- 20 - لطفي بن عمر جمعة ، " التغيير ورهان الانخراط في الدورة الاقتصادية العالمية " ، مجلة الاتحاد السنة 12 العدد 76 - فيفري 1997 ص 13
- 21 - منجي الساهلي ، " مكاسب اقتصادية ثمينة تساعد على انتاج القاهيل الشامل " جريدة الحرية 7 نوفمبر 1996 <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- 22 - 25 " المخطط التاسع ( 1997/2001 ) الملامح والطموحات " ، الاعلام الاقتصادي ، نشرية من وزارة التجارة والصناعة ، عدد 202 اكتوبر - نوفمبر 1996
- 23 - خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي ، بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني المؤسسة في 5 اكتوبر 1996
- 24 - د. عبد الفتاح العموس ، " النجاحات التي مهدت لبرنامج التأهيل الشامل " ، جريدة الصحافة 8 اكتوبر 1996 ص 8
- 26 - خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي ، بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني للجمعيات في 23 افريل 1997

## مارون عبود في منحييه القومي والفنوي

بقلم : د. أحمد قاسم



مارون عبود أديب لبناني (1) جريء ، معاند ، متحرر من أدرا ن الأقليميّة والطائفية الضيقة ، متعصب للحق، منحا ز للعرب ، منفتح على الإنسانية جمعاء . معلّم أجيال ، ومكافح سلّ قلمه في مواجهة الظالمين مسطّرا على صفحات الصحف ومن فوق منابر الخطابة أنصع الكلمات وأنقاها ، منازلا بلسانه

كلّ معاند . ساخر الى أبعد حدود السخرية . يرخي نكاته ولو في حضرة الحاكم الديني أو الزمّني ولا يتورّع عن التّهكّم بنفسه وبالقدّسات حتّى استحقّق عن جدارة لقب جاحظ القرن العشرين . أنشأ وهو طالب لاهوت في مدرسة مار يوحنا مجلة مدرسية إسمها " الصّاعقة " وكتب تحت عنوانها بيتا من الشّعْر يافعا كصاحبه :

**إيّاك ترفّع هامة تهوى عليك الصّاعقة**

وطبعا على " الجلاتين " تعلّم في مدرسة الحكمة الواقعة في وسط بيروت على يد كبير أساتذة العربية الشّيخ سعيد الشّرتوني ، وصار معروفا بين زملائه بجرأته وصلاية مواقفه ، وبشاعريّته الغاضبة المفضبة . ترأّس دفعة واحدة تحرير جريدتين أدبيتين هما جريدة الرّوضة والنّصير ، وراح يعلم إلى جانب ذلك في مدرسة الفرير ببيروت وفي كلية القديس يوسف للأبّاء اليسوعيين فترك المدرستين مفضولا نزولا عند رغبة القاصد الرسولي . اقترب هذه المرّة من بلدته عين كفاح فأنسّس في جبيل جريدة الحكمة وعلم في مدرسة " فرير جبيل " الى حين اندلاع الحرب الكونيّة الأولى حيث توقّفت المدارس والصحف .

تزوّج في الخامسة والثلاثين ورزق بثلاث صبية و بنت وحيدة . سمّى ولده الثّاني (محمّد) الذي تلقّته الحياة سنة 1926 وصار يعرف بأبي مارون مع أنّ ولده الأكبر الذي يجب أن يكتّى به إسمه (نديم) . وكانت هذه التّسمية مثار أخذ وردّ لأنّها كسّرت التّقليد ، وحركت المشاعر الطائفية، وآلّبت عليه الخصومات . هذا اللّقط الذي أثّارته التّسمية حملت الوالد على البوح بمكنونات قلبه مفضحا جهارا عن طوايا معتقده القومي :

ولدته أمّ في رجب	عشت يا ابني ، عشت يا خير صبيّ
أيّها التّاريخ لا تستغرب	فهتفنا وإسمه محمّد
حت ابن مارون سميا للتّبسي	خفّ الدّمشة واخضع إن راى
أو مسيحيا ولكن هريي	أمّ ما وضعته مسلما
اية الشرق وغر العرب (3)	والنّبي القرشيّ المصطفى



أثر لتأريخ الولادة الشهر العربي ( رجب ) والإسم العربي ( محمد ) لمولود عربي لأن أمه لم تلده مسلماً أو مسيحياً بل ولده عربياً ومحمد اسم عربي قبل أن يهبط الوحي على النبي المصطفى . فهو يستنكر إستغراب التسمية . فالشاعر عربي صميم ينتمي الى هذه الأمة المجيدة التي أنجبت فخر هذه الأمة . فبعد أن وجه الأوم للمستغربين مغنّدا مزاعمهم توجه للوليد الجديد بوصية جاء فيها : (4)

بل قد خالفت يا ابني ملتي عصر حرية شعب نامش  
راجيا مطلع عصر ذهبي وأتحداد لبقايا يعرب  
حيذا اليوم الذي يجمعنا من ضفاف النيل حتى يثرب

التسمية ليست مزاجية ولا ضربا من التحدّي ، بل هي فعل إيمان وعقيدة . مارون فجّر في هذه القصيدة حبه للعرب بانتمائه إلى هذه الأمة المجيدة التي يرجو لها وحدة تجمع شتاتها وتقضي على حدود مصطنعة أقامها الأجنبي ليحكم سيطرته على كل البلاد العربية . نظر أبو محمد الى الأديان نظرة صوفية معتنقا نظرة ابن عربي في وحدة الأديان ، والى الشرق نظرة شوقية (5) عندما قال في أول نيسان من سنة 1926 (6) :

فالشرق أجمعه قد صار لي وطنا أحياء به وجميع الناس إخواني  
ودينني الحب والإخلاص مصطفه وكأهني فكري والصدق قرباني

وحدة الأديان كانت عقيدة راسخة لم تفارق قصيدة من قصائده لأنها ليست شعارا يرفع بل هي إيمان راسخ يخدم توجهه القومي (7)

**الله للثأب أولد رسالة قلام تفريق السرى وإلما ؟**

أمضى مارون سحابة ثمانية وثلاثين عاما في تدريس العربية وبيانها المشرق فكان خير مدافع عن حياضها ، وذائدا عن حماها . أحب نقاده أن يصغوه بالذاتية المتفردة ، وأن ينعتوه بعد وفاته بآبن القرية البار ، وتحذوا عن الضيعة في أدبه فافرطوا ، فنقلوه من تقوقع إلى آخر . ومارون أرفع من أن يرمى بالذاتية والانعزالية . فالقصيدة التي استقبل بها ابنه (محمد) حدثت انتماؤه الصريح ، وترفعه عن المذهبية المتوقعة وحدد لابنه موقعه بوضوح وبيان مشرقين (8) :

وعلى لحدي لا تندب وقل أية تزوي بأغلى الغطب  
عاش حراً عربياً صادقاً وطواه اللحد حراً عربياً

**نضاله القومي :**

يوم نظم مارون عبود قصيدته (محمد مارون) الآنف ذكرها كانت الدعوة الى العامية تطبق الاتفاق من مصر الى سوريا الى لبنان إلى غيرها من بلدان المشرق العربي . وكان النافخون ببوقها فوق العده غير أن محركها واحد متوحد في أهدافه القريبة والبعيدة . فما موقف مارون من العربية ككل ؟ وما موقفه من الدعوة إلى العامية بشكل خاص ؟

**أ- موقفه من العربية :**

العربية في نظره لغة خالدة ، مقدسة ، اتسعت لتعاليم السماء ، وما عجزت عن استيعاب المد الحضاري في عصر النهضة الأول لأن أبنائها قد فجروا طاقاتها الكامنة . وهو يدعو أبناء

عصره للّهوض بالمهمة الملقاة على عاتقهم في صون العربية لأنّ عنوان وحدتهم وأمن حصونهم وعليهم أن يضطلعوا بالمسؤولية التاريخية المتمثلة في الإبقاء عليها أنقى لغة لأنّها أمّ اللغات (9) :

**وأمّ اللغات أقيموا لها دعائم تحفظ أوزانها  
لقد كلّم الله فيها النبي وحديث جبريل رشوانها**

بـ موقفه من دعاة العامية :

كان مارون بريئا جداً في نظريته إلى دعاة العامية . فأهداف هؤلاء كما يرى مارون محصورة بحدود الانتشار وسعة السلطان وليست منطلقة من خلفيات إيديولوجية رماهم بها متعصبون . فالشاعر في نظره يهتم بالتوصيل وبالوصول إلى أكبر قدر ممكن من الجماهير . يريد الشاعر أن يغزو قلوب الناس فإذا تكلم بلغة لا يفهمونها قلّ جمهوره وزهد فنه إلى الخاصة التي قليلا ما تنصفه . كانت هذه نظريته (10) " لأنّ أكثر شعرائنا ليسوا من فقهاء اللغة ، وهب أنهم كانوا ، فماذا ينفع اللغة من لا يدرك ما تقوله له ؟ "

في هذا الموقف بالذات تكمن عبقرية مارون وتتكوّن مرتكزات مدرسته اللغوية هذه المدرسة اقتربت من لغة الناس ، من حديثهم اليومي بدون أن تسيء إلى أصول اللغة في صرفها ونحوها ومعجمها ، بل هي ردمت الهوة السحيقة التي تفصل اللغة المكتوبة عن الأخرى المنطوق بها . سمى مارون الدعوة إلى العامية بدعة (11) وتساؤل عن الغرض الذي هدفت إلى تحقيقه " واللغة العامية التي يدعون إليها أي غرض تؤدي في ميادين الفكر ؟ إنها لا تصلح إلا لهذا الرّجل ، ومتى تخطت تخومه بدت هزيلة ضعيفة " .

اللغة وعاء الفكر وهذه العامية مقصورة في نظره عن تلبية الغرض فهي صالحة لهذا الرّجل الذي عرف ازدهارا في لبنان ولا يزال مزدهرا . صدر في أوائل الخمسينيات من هذا القرن ديوانا زجل أولهما ( جلتار (12)) للرّجال الكبير ميشال طراد ، وثانيهما الرّجال آخر كبير هو أسعد سابا . كتب سعيد عقل (13) مقدّمة لكلّ من الديوانين المذكورين باللغة العامية اعترض مارون عليهما لأنّ : كلتا المقدّمتين للشاعر سعيد عقل > ومن شاء أن يعرف تفاوتهما فما عليه إلا أن يقرأ مقدّمتي قصيدته " المجديّة " ومسرحيّته " قدموس " .

لقد أدرك مارون عبود طبيعة اللغة ومستوياتها وعلم أنّ هذا الرّجل يصلح لغة منطوقة محكية من فوق المنابر ، ولا يصلح للغة المكتوبة لأنّه يفقد بكتابه الكثير من نكهته ، ويتعذّر على القارئ إدراك أصواته وحركاته . لهذه الأسباب توجه مارون إلى سعيد عقل بالنصيحة الآتية (14) : " إنّي أنصحك لوجه الله ، ألاّ يقدم على هذا العمل ، فإنّه دون شكّ يقصّر عنهم ... إنّ ميشال طراد وأسعد سابا لا تطلّ عليهم اللفظة الفصيحة ، وسعيد عقل لا تكتبه الكلمة العامية إلاّ بعد إصطدامها بأختها الفصيحة وهذا سرّ الرّجل اللبناني الذي هو بضاعة للإستهلاك لا للتصدير " فالعامية عند مارون بضاعة محلية للإستهلاك المحلي . ونحن نعرف أنّ السوق المحلي تستهلك ما لا يصلح للتصدير ، وتنتخب أفضل نتاجها لتصدره إلى الخارج . فالعامية أدنى مستويات اللغة ، تضيق محليّتها رقعة انتشارها وتعرضها لرخص تبقي الفصيحة في منأى عنها . إنّ المستوى الذي تصلح له هذه العامية اللبنانيّة يجعلها وقفا على بعض المواقف الإنسانية البسيطة التي لا

تتطلب إعمالا للفكر وكذا الذهن . فالواقف الفكرية العميقة تعجز العامة عن تلبيتها والإحاطة بها . لهذا اختصر مارون عبود حدود العامة اللبنانية المتمثلة في كونها (15) " لغة دف ومزمار وديكة ونابي ولغة عاطفة وحب " .

وكما تصدّى مارون للشاعر سعيد عقل تصدّى لسمية الخوري مارون غصن (16) " داعي دعاة العامة في ذلك الحين (17) محددا موقفه بصراحة من هذه الدعوة المشبوهة (18) " أنا عدو هذه العامة بعقشها ونفشها ، ولا أحب أن أسمع أن فينا من يدعو إليها في الأدب لأنني أخاف على مجد لبنان الأدبي أن يتزعزع أساسه " .

قد يظن القارئ أن مارون يبوح بين الحين والآخر بدعوة إقليمية متعصبة لوطنه لبنان ربما بلغت حد الشوفينية التي تدعي تفوق كل ما هو لبناني على كل ما هو غير لبناني . وبهذه الدعوة إن صحت - وليست صحيحة على كل حال - يفقد مارون مصداقيته في الدعوة الى القومية الواسعة . فمارون لا يجد في دعوته الوطنية تعارضا مع دعوته القومية ، بل هما منسجمتان كل الإنسجام . قال في تصريح له لجريدة الجريدة : " إنني لا أرى فرقا بين أدب الوطنية وأدب العروبة . فكل شيء في الدنيا يكون إقليميا أولا ، ثم يصير مسكونيا عالميا . وما أظن أن الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - قد كانوا غير إقليميين ، قبل أن يصيروا عالميين " .

فمارون صاحب رسالة مقدسة يترك أبعادها ويرسم استراتيجية بعيدة النفس لتحقيقها فهو يبدك في التكتيك كما يقولون ولا يغير في أهدافه ومراميه . يهتدي مارون بالرسالات السماوية التي بدأت إقليمية ثم صارت كبقعة الزيت أو كدوائر الماء الذي يرمى فيه بالحجر على حد تعبير ابن الرومي . فمجد لبنان الأدبي يتجلى في كونه حاضنة الفصحى ، ومدافعا عنها في وجه كل المؤامرات الدخيلة والخارجية التي كانت تحاك ضدها في ربوعه ، وتعمل على تقويضها نظرا للموقع السياسي والثقافي المتميز لهذا البلد العربي .

أراد مارون لغة جامعة ولم يقبل بعاميات مفرقة . لهذا السبب بالذات ثار على توفيق الحكيم عندما استخدم اللهجة المصرية في حوار بين أبطال " عودة الروح " لأن حوارا كهذا لا يعجبه (20) " إنّه جناية على اللغة الفصحى التي هي رابطة العرب ، ناهيك أن المصري لا يتفوقه ، بل لا يفهمه ، ونحن نريد أدبا عاما " .

أيقن مارون أن العامة تعيق وحدة العرب وتعرقل المشاريع السياسية القومية فحاربها متطلعا لأدب يوحد لا إلى أدب محلي يغذي القطرية ويشردم القطر الواحد . ولم يقف مارون عند حدود الاعتراض على هذا الحوار المكتوب بلغة العامة بل احتج عند ذوي الشأن من قادة مصر طالبا منهم وضع حد لهذه الفوضى (21) " قد سالت طلعت باشا حرب قمع هذه الفوضى ، فكتب واعدا أن يتدبر ذلك فيما يخرج ستيديو بنك مصر من مسرحيات لتتذوقها الأقطار جميعا " .

إنّه غيور على هذه الرابطة يشد عليها بالنواجذ ، ويقف بضراوة في وجه كل الدعوات التي توهنها وتقطع أوصالها .

موقفه من لغة العوام :

قد يجد الملاحق لأفكار مارون وتطلعاته اللغوية بعض التناقض في مواقفه من العامية . فهو يقف متصدياً لها بعناد حيناً ، ويطربها أحياناً أخرى . فمارون متعصب للفصحى غير أن تعصبه لا يعنيه عمّا في العامية من الألفاظ والتعابير الفصحى لهذا رأيناه يدعو لاصطياد ما فيها من جواهر . خاطب معاصره أمين نخله معترضاً (22) " وهنا اسمح لي أن أنتقل إلى لفظة ثانية من هذه البضاعة ، وهي قولك :

**أنا في رحاب السامرية واقف      ظمان باسم الناصري أتبتب**

قُبَّ الرجل معناها شاخ . ولولا قلت : أطيب كان لنا مخرج منها ومعتصر ، كما قال الأخطل الكبير . فمعنى طيبط اليعقوب : صوت . ولعلك بهذا تكون قد دنوت من العوام أكثر ، وهم فصحاء غالباً " فهؤلاء العوام ليسوا فصحاء دأماً ولأما جاز له أن ينعي على ميشال طراد وأسعد سابا وسعيد عقل عاميتهم . ونقده للفظ أتبتب في محله لأن الابتعاد عن اللفظ المألوف والشائع والبحث عن الأقصر مع تيسر الفصحى أوقعا الشاعر في الحوشية وأبعداه عن المعنى المراد . وهذا ما يجري بالفعل لكثير من أدبائنا وشعرائنا ومعلمي النشء في بلادنا فهم لا يمعنون النظر في هذه العامية وينفرون من كثير من فصيحها لئلا يتهموا بالإبتذال . إذا كان اللفظ العامي غير فصيح فالحوشي أيضاً غير فصيح . واللفظ الذي يصاقب المعنى وينزل حفرًا وتنزيلاً في القافية هو أطيبط لا أتبتب .

ولعلّ مارون نفسه متهم باستخدام العامية بعفشها ونفشها ولو نفى عن نفسه هذه التهمة . تعقبه كثيرون مجاولين رصد سقطاته لكن مارون كان صياداً ماهراً لا يرضى من قعر العامية بغير الدر والمرجان . له رأي في عاميتنا اللبنانية لا يبدو مغالياً فيه ولا مبالغاً مفاده (23) " وقد قلت أكثر من مرة إنّ لهجتنا اللبنانية أطوع اللهجات وأقربها إلى الفصحى . نحن في هذا البلد نكاد نتكلم لغة الكتاب الكريم ، وفي كلامنا وعلى ألسنتنا الكثير من كلماته وتعابيرها " وهذا الذي ذهب إليه مارون فيه الكثير من الصحة ولنا في أدبه ألف دليل ودليل على صحة ما ذهب إليه . وستثبت بالدليل المادي صحة هذا المذهب .

لقد بقي مارون على رأيه في أنّ العامية (24) " أداة غير صالحة للنثر الفني " لكنّه على الرغم من ذلك لا يرى استحالة إستعمال ألفاظ عامية فصيحة لأنّ هذه العامية تحوي الثبر الذي يحتضنه الثراب ، وإنّ هذه العامية المعيرة المسك الذي هو بعض دم الغزال على حدّ تعبير المتنبي (25) " إنّ في استطاعتنا أن نستعمل ألفاظاً وتعابير كثيرة دون أن نكتب بالعامية " ومارون لم يكف نفسه عناء البحث عن هذا الفصحى الذي تزخر به عاميتنا بل اكتفى بتقديم عينات واسعة منه في كتاباته حيث وجدنا أصولها في بطون المعجمات القديمة والحديثة . قال معلقاً على ديوان الشاعر فؤاد سليمان (26) :

**إنّ في صوتك الحنون جراحاً      ألف أه تعوج فيه وأه  
أنا أهوى على شفاهك شيئا      غلّ في فتحه الشفاء وتاه**

انظر الى الفاظه ؟ فلفظة غلّ وفتحة . وعجيني وخميري قروية لبنانية منه بالمائة ، وما

أكثر الفصح في لهجتنا ، فليت لم يستعمل إلا الفصح الخالص . فهو مع (غل) لأن اللفظ فصيح عريق في فصاحته أثبتته ابن منظور (27) " غَلَّ يَغْلُه غَلًّا : أدخله " كما أثبتته ابن سيده (28) " غَلَّ في الشئ يَغْلُه غُلُولًا ، وانغَلَّ وتغلَّل وتغلغل : دخل فيه " وفؤاد سليمان استخدم صيغة تغلغل في قصيدة أخرى بعنوان ( مقبرة ) (29) .

ثم وسع مارون أطلس العامية الفصحى عندما رأى أن (30) " من يقف اليوم وقفة مدقق يتحقق أن اللهجة الشامية أقرب الكلام إلى فصيح العرب لا تدانيها لهجة الحجاز ومصر والعراق فصاحة وصحة تركيب " .

وهذا الكلام ليس ببعيد عن الصواب فاللهجة الشامية تكتنز الكثير الكثير من الألفاظ والتعابير القرآنية . ومن يقرأ أدب مارون عبود بروية وإمعان نظر يلمس بسهولة تدفق الفصحى بين سطور صفحاته من تلك التي خالها الكثيرون عامية .

من هذا الفصح الذي شاع في استخدام العوام حتى ظن الخاصة أنه عامي مبتذل فابتعدوا عن وضعه في التداول وهم يكتبون في موضوعات متعددة نذكر هذه العينة :

**أح :** يقول العوام : أح فلان : إذا سعل وتفصَّل الخاصة ( سعل ) لأن أح من لغة العوام . وهذا الابتعاد عن لغة العوام غير موفق لأن الفعل مثبت في المعاجم التراثية بالدلالة التي يعنيها العوام جاء في الصحاح (31) : " أح الرجل يؤح أحًا أي سعل " والعوام يستخدمون اشتقاقات الفعل كما وردت في الصحاح . وابن سيده يقول (32) : " أح : رد التثنع في حلقه " وفي المعجم الكبير الصادر حديثًا عن مجمع اللغة بالقاهرة (33) " أحاح : أكثر من الأحاح " وصيغة أحاح شائعة على ألسنة العوام وهي صيغة تدل على التكرار والتقطع كما في صرصر . وقد استخدم مارون هذا الفعل مضيفًا إليه صيغة ابن سيده (34) " وإن تثنع أو أح امتنع على كرسي مجده " وصور في أقصوصة دايم دايم الخوري نصر الله وهو بهم بقدراس الفطاس " فتثنع ثم أح الأحّة المعهودة " فيشتق مارون من الفعل مصدر المرة أحّة . والعوام يكثر من استخدام الفعلين أح وسعل أما الخاصة فيكانون لا يستخدمون إلا (سعل) .

**أدمي :** يقول العوام في وصف الرجل الفاضل ذي الأخلاق الحميدة : فلان آدمي . وهم ينسبونه إلى أبي البشر آدم . ويجمعون الصيغة فيقولون هؤلاء ناس أودم . والجمع قاموسي إذ جاء في اللسان (35) " أودم في الجمع " وقال الفيروز ابادي (36) وأدم أبو البشر صلوات الله عليه وسلامه جمعه أودم " . وقال مارون في سياق حديثه عن ابن الرومي (36) : " وإذا كان لا بد من العنّ فلماذا لا يعنّ ابن الرومي مثل الأودم " ويورد العوام في هذا السياق كلمة ناس : فيقولون مثل الناس . ويورد مارون صيغة الجمع بمعنى الناس الأخيار أصحاب الأخلاق الفاضلة كما في لغة العوام تمامًا إذ يقول (37) : " أي أن رجال حيفا أودم جدًا " .

ويطوّر مارون هذه المائدة فيشتق مصدرا صناعيًا من لفظ (أدم) كما اشتق الأقدمون مصدرا صناعيًا من إنسان فقالوا إنسانية. وفي الحديث وجد مجمع اللغة بالقاهرة أن الحاجة اشتدت الي مثل هذه المصادر فأصدر قرارا يقرّر فيه كيفية صياغته (38) " إذا أريد صنع مصدر من كلمة

يزاد عليها ياء النسب والتاء " فسبق مارون قرارات المجمع وقاس على مذهب العرب في القياس قائلًا في سياق حديثه عن عمر بن أبي ربيعة (39) " فهذه الأدمية خبيثة بظرف وكياسة وهزه " والدلالة التي يحملها المصدر الصناعي هي حقيقة الصفة المنسوبة الى الإسم . فالأدمية صفة منسوبة الى آدم وآدم هنا يعني الترفع والإباء .

**أكَل :** يقول العوام موسعين دلالة ( أكل ) فلان كاد ياكلني بعينيه في معرض التذمر والحنق والغضب . وهذا المجاز وارد في اللسان (40) " يقال : نظر إلي نظرا كاد ياكلني وكاد يصرعني . وقال القتبي : أراد أنهم ينظرون اليك إذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالبغيضاء يكاد يسقطك " . والعوام يستخدمون صيغة المبالغة من هذا الفعل موسعين دلالتها فيقولون : فلان أكأل حقوق الناس أي أنه يهضم حقوقهم . وقال مارون في سياق كلام على المتنبّي (41) يا أكأل الحقوق " وهذه صيغة يكاد يتقدّر بها العوام وهي صيغة لا تشكو من وهن .

**أَهْل :** يقول العوام : تأهّل بنا بمعنى رحّب . وهم يقصدون : قال لنا أهلا وسهلا . والخاصة يؤثرون : رحّب بنا وكأنهم يشكّون في سلامة التعبير العامي . وهذا الشكّ يقطعه ورود اللفظ في المعاجم التراثية إذ جاء في المحكم (42) " أهّل به : قال له أهلا " وجاء في كلام لمارون عبود (43) " . وبينما كنت أتأهّل به قلت في نفسي : هذا هو موضوعي " .

**أَيْش :** يردّد العوام صيغة أيش في السؤال . والخاصة تبتعد عنها لأنها عامية . لكنّ العلماء اجتهدوا لمعرفة أصل هذه الصيغة وتوصلوا إلى أنها (44) " أي شيء " . خفّفت لكثرة الاستعمال بحذف الياء الثانية من أي الاستهامية وحذف همزة شيء بعد نقل حركتها الى السّاكّن قبلها ثمّ علّت إعلال قاض " ونقل المعجم الكبير رأي الشّريف الجرجاني القائل : إنها كلمة مستعملة بمعنى أي شيء . وليست مخفّفة منها " وبذلك يبعد الجرجاني عنها الحذف والإبدال ذاهبا الى أنها كلمة واحدة وليست منحوتة من كلمتين . كما ابتعدت عنها شبهة تحريف العوام . ومارون عبود استخدم اللفظ مرارا منها قوله (45) : " فقلت لبطرس : أيش مصيبة دابّك اليوم ؟ " .

**إبر :** يعزّف الخاصّة عن استخدام هذا الفعل ويفزعون إلى (ثرثر) بديلا عنه . والحق أنّ الدلالة مختلفة وأنّ البربرة غير الثرثرة . فالبربرة (46) : " كثرة الكلام والجلبة باللسان وكلام في غضب " والثرثرة كثرة الكلام غير المصحوب بالغضب . وقد استخدم مارون هذا الفعل بدلالاته الحقيقية أكثر من مرّة . قال في وصف الخوريّة نصر الله (47) : " رأّت زوجها صريعا فانتحت فوق رأسه تولول وتبّير " . وفي مكان آخر ورد الفعل دالّا على معناه القاموسي حيث قال (48) : فتبّير ورده وتجدّف وتلعن " .

**بر أنسي :** يقول العوام برّا وجوا بمعنى خارج وداخل فيقولون : في الصيّف برّا أحسن من جوا . والخاصّة يؤثرون الدّاخل والخارج مخافة الوقوع في العامية . وجاء في الأساس (49) " جلست برّا وخرجت برّا إذا جلس خارج الدّكر أو خرج إلى ظاهر البلد . وافتح الباب البركاني ، ومن أصلح جوانبه أصلح الله برّانيه ، ويقال : أريد جوا ويريد برّا أي أريد خفية وهو يريد علانية " .

وقال مارون (50) : " أن يخرج ذلك العبد البطال إلى الظلمة البركانيّة حيث البكاء وصريف الأسنان " .

**بِزَقَ :** يقول العوام : بزق الطفل ، أمّا الخاصّة فيقولون : بصق . والحقّ أنّ المعاجم أوردت " بزق على أنّه لغة في بصق . جاء في المحكم (51) " البزاق : لغة في البصاق . بزق يبرزق " وقال أبو البقاء الكفوي (52) : " البزاق : هو للإنسان ، والألعاب للصبي ، والأغنام للبعير والروّال للدابة . والبصاق والبساق أيضا : ماء الفم كالبزاق إذا خرج منه ، وما دام فيه فهو ريق " . فالكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة لا يرى فارقا بين البزاق والبصاق . ومارون يستخدم البزاق تارة (53) " ألا تبرق عليها " كما يستخدم طورا اللفظين (54) فلكي يستعجلهم كان يبرزق على حجر ، والموعد قبل أن تجفّ تلك البصقة " .

**بعزق :** يقول الرّجل موصيا ابنه بحسن التصرف بالمال : إصرف ولا تبعزق وهو يريد لا تندّد مالك في غير محله . وفي المعجم الكبير (55) : " بعزق فلان ماله : أثلّفه ووضع في غير موضعه ، وبعزق الشيء : فرقّه وبدّده " . ومارون عبّود سبق المجمع إلى استخدام هذا الفعل عندما سأل الخوري نصر الله خوريّه (56) " كم رطلا عجنّت ؟ " وردّ عليها مثبّيا على حسن تدبيرها : " أحسبي حساب الضيّعة كلّها . أطعمي ولا تبعزقي " .

**بعط :** يقول العوام : يعط فلان في كلامه إذا قال كلاما على غير وجهه السليم أم إذا كان يلفّقه فلا يحكم نسجه . والخاصّة تميل إلى استخدام فعل ( جانب ) في هذا السياق : فتقول : جانب الصّواب أي بعد عنه . وفي اللسان (بعط) أنّ " البعط والإبطاط : الغلو في الجهل والأمر القبيح . ويعط الرّجل في كلامه إذا لم يرسله على وجهه " .  
<http://Archive.org/details/Samiir>  
وذهب مارون إلى استخدام هذا الفعل بدلالته المنصوص عنها في اللسان فقال (57) : " فلماذا نخدع الرّجل وهو صاحبنا ، فيبعط في قصائده الوطنيّة بعطا " وتقول العامّة فلان يبعط في جهله أي يغالي ، ومارون قطف هذا الفعل عن أفواه العامّة فقال (58) : " وإنّا ما فتئت نفعل هكذا بالأحياء الذين يبعطون في جهلهم " .

**ببق :** جاء في أمثال العوام : فلان بقّ البحصّة بمعنى أفصح عمّا كان يخفيه من أقوال . وفلان بقّ مصاربه بمعنى أخرج ما فيها من طعام . ويقولون للمصاب بالثّمام : ليت يبقّ الأكل . وهذه الصّبيغ جميعا من فصيحهم الذي لا يعتوره ضعف فلقد قال ابن سيّد (59) : " بقّ الشيء يبقّه بقّا : أخرج ما فيه " وقال مارون (60) " فبقّ كلامه معريا " .

**ببقي :** يسري على السنة العوام قولهم : فلان ما خلّى وما بقّى . أي أنّه ما ترك شيئا إلّا قاله . وجاء في اللسان (بقي) : " بقّيته بالتشديد وأبقّيته وتبقّيته كلّ بمعنى " وقد هربت الخاصّة من بقّى مكتفية بـ (أبقى) . وابن منظور يثبت لفظ العوام وفعل مارون فعله فقال (61) : " الخلاصة ما خلّى صاحبنا وما بقّى " وقال في مكان آخر ميديا دهشته من العلم والعلماء (62) " ما خلّى العلم وما بقّى " .

**بلا** : يقول العوام مشفقين على من رماه الله بداهية : بلاه الله بمصيبة . وفي الأسان ( بلا ) بلاه يبلوه بلوا : إذا ابتلاه الله ببلاء . وقال مارون (63) : " ولكن شاعرنا بلا نفسه ويلانا معه بشخصه الوهمية " .

**بوز** : يؤثر العوام لفظ ( بوز ) بمعنى الغم ، والخاصة تقزح الى اللفظ الأخير . وإذا كانت المعاجم القديمة قد أغفلت هذا اللفظ فإن معجمي مجمع اللغة بالقاهرة الوسيط والكبير قد ذكراه . جاء في الوسيط (64) " البوز : الغم وما حوالبه ، جمعه أبواز " كما جاء في المعجم الكبير (65) " البوز وما حوالبه الغم " فإذا أقررنا بدينامية اللغة وتطورها اعترفنا بأن المجمع أعلى سلطة لغوية وبأن قراراتها ينبغي أن تكون ملزمة لكي لا يكون جهدها مضاعفا . ومارون عبود سبق المجمع إلى اعتماد اللفظ بقوله (66) : " وضع الله الأذنين على مقربة من البوز حتى يسمع الإنسان ما يقول " ثم استخدمه في سياقين شعبيين مقتربا جداً من لغة العوام لأن هؤلاء فصحاء عموماً كما ذكر سابقاً . جاء في السياق الأول (67) : " أنتنظره حتى يسد بوزه " والعوام يستخدمون هذا التعبير في معرض التحقير وعدم الرضا عما يقال كما في قول مارون (68) .

ولكن عمك عم ، سد بوزه بأجلك الله فلف ذنبه وراح " . ويستخدم اللفظ في سياق عدم المجابهة أو في معرض التقيّة وحسن الإستماع فيقول العامة تركته يتكلم وما فتحت بوزي . وقال مارون (69) " قل لبنت عمك لا تفتح بوزها على مصراعيه مرة ثانية " .

**بوس** : جاء في أمثال العوام : بوس الأياوي ضحك على اللئى . ويقولون في معرض الترجي والاسترحام : أبوس أدبك أي يدبك ، وأنا أميل إلى أن التعبير فصيح برمته . فالزبيدي يقول ( 70 ) : « البوس : التقبيل فارسي معرب . وقد باسه ييوسه وباس له الأرض بوسا » فإن هذا الدخيل المعرب قد دخل من قبل إلى القرآن الكريم وتمثلته القصص حتى صار جزءاً من كيانها . والجوهري أحمل أصل اللفظ عندما قال ( 71 ) : البوس : التقبيل وقد باسه ييوسه « أما أدبك فيبدو أنها لغة في يدك . واللغات كلها حجة في نظر ابن جنّي . روى ابن السكيت ( 72 ) : « وحكى الليثاني : قطع اله أدبه : يريد يديه » وقد تحدث مارون عن بوس يد الخوري قائلا (73) : « وتكلموا حوله يقبلون يده ... لم يرتدوا حتى باسوها جميعا » ولعل مارون قد وضع الفلطين جنباً إلى جنب ( قبل ، باس ) ليقول إنها بمنزلة واحدة لا أفضلية لأحدهما على الآخر . وقال في سياق آخر ( 74 ) : « الكلب الذي تطعمه لقمة ييوس يدك مرأت » . ومن لياقات المجتمع اللبناني في عهده كما يقول ( 75 ) : « أما بوس يد الأب والأم والخال والعمة وكل نسب حتى الدرجة الخامسة فكان من أقدم الواجبات » كما كانت ومازالت عادة بوس يد الخوري من أقدم الواجبات أيضاً ( 76 ) وأعزّ يوم أراك وأبوس يدك الطاهرة » .

**بوع** : يقول العوام في أمثالهم : فلان لا يعرف كوعه من بوعه . وقد ظنّ الخاصة أن البوع إتباع لا معنى له كما في قول القدامي : حسن بسن . فاللفظ الثاني ( بسن ) لا معنى له . والواقع



أَنَّ المعاجم القديمة نصّت على أَنَّ البوع لغة في الباع وأنَّ هذه اللّغة هذليّة . ولكنَّ المعاجم الحديثة كالوسيط والمعجم الكبير قد نصّت على أَنَّ (77) " البوع : عظم يلي إبهام الرّجل " وذكر المعجم الكبير هذا المثل الشعبي بقوله : فلان لا يعرف كوعه من بوعه ، أي هو قليل الإدراك .  
ومارون عبّود سبق مجامع اللّغة الى إعتداد هذا اللّفظ بهذا المعنى (78) : " فخير لك ولا بنك أن يكون بناءً ماهرًا من أن يكون عالمًا لا يعرف الكوع من البوع " .

**تبّل :** تدور على السنة العوامّ في لبنان خاصّة الفاظ تتعلّق بالأطعمة وأسمائها مشتقّة من الجذر (تبّل) . " فغي اللّسان (تبّل) : " تبّلت القدر وتبّلتها وتبكتها : فحيّتها " أي وضعت فيها التوابل كما في المعجم الكبير (79) . وفي القاموس المحيط (تبّل) : تبّل القدر كتبّلها " . ومن أسماء الأطعمة في لبنان " متبّل الباذنجان " اسم مفعول من تبّل والإسم مصاقب لحقيقة الأكلة لأنّها كثيرة التّوابل . وهناك أكلة أخرى شائعة في المطبخ اللّبناني اسمها (تبوكّة) يفخر اللّبناني بتقديمها وجبة للضيوف الأعراء . والكتّاب يضعون التّسمية بين مزدوجين معتقدين أَنَّ اللّفظ عامّي . ولو أنّ في لبنان مجمعا لغويًا لما تردّد في إقرار التسمية لشدة دلالة التّسمية على المسمّى . وجاء في المعجم الكبير (80) : " تبّل فلان الشيء : قطعه " ولو عدنا إلى هذه الأكلة الشهيرة لوجدنا أَنَّ الخضروات فيها مقطّعة تقطيعًا جيّدًا ولوجدنا أيضًا كثرة التّوابل فيها .

ومن أمثلة العوامّ في لبنان : تبكنا زيتنا بحامضنا : ويوردونه في معرض الرّواج بين قرييين . وقال مارون (81) " وخلاصة القول إنّ عبقر قصيدة عادية مبنى ومعنى وتصوّرًا ... ستظلّ وجيبة إلى حين يتبكّل بعضها بعضًا " .

**تخّ :** يقول العوامّ : تخّ العجين ، كما يقولون شامتين بخارج عن القانون أمضى زمنًا في السّجن تخّ في الحبس . وتخّ العجين إذا ازداد تخمّره حتّى يسترخي لكثرة الماء فيه . وجاء في المحكم (82) : " تخّ العجين تخّا : إذا أكثر ماؤه حتّى يلين " . واستخدم مارون هذا الفعل بدلالته القاموسية لفرط شيوعه (83) " عجيبك تخّ يا عمّتي ، فأجاب شابّ ... إذا كان عجين الخوريّة لا يتخّ فعجين من يطلع ؟ " .

**تثّى :** يقول العوامّ للرّائر عند أوّل زيارة يقوم بها (تنثّيها) ولو بإبدال الثاء تاء . وفلان ما تثّى الكلمة . ابنه مطيع . ويريدون بفعل تثّى : قالها ثانية ومارون قطف الفعل من السنة العوامّ قائلا (84) : " كنت إذا تثّيت الكلمة على رجل وعذك اشعاز " .

**جحش :** رسخ في أذهان الخاصّة أَنَّ فعل (جاحش) يختصّ بعالم الحيوان وأنّ المجاشة سباق بين الحمير . والحقيقة أَنَّ العوامّ يطلقون على عملية المنافسة بين النّاس والدّفاع عن النّفس تسمية المجاشة فيقولون للدّافع عن نفسه : لا تجاحش . والمعاجم التّراثيّة لم تخصّ الفعل بالحيوان بل جعلته معبرًا عن الفعل الإنساني . جاء في اللّسان (جحش) : " جاحش القوم جحاشًا : زحمهم . وجاحش عن نفسه وبغيرها : دافع ... والجاحش أيضًا : القتال " . وهذا المعنى المختصّ بالإنسان أورده مارون في أدبه (85) " وأخيرًا صرّت أجاحش في كلّ ميدان " وأورد مصدر الفعل في سياق يؤيّد هذا المعنى (86) " وأكثر ماتكون المجاشة حول المنود " .

كما تبتعد الخاصة عن لفظ جحشة : أنثى الحمار ويؤثرون عليه لفظ (حمارة) لأنه فصيح . والحق أن اللفظ تراثي أثبتته المعاجم التراثية بالمعنى الذي تستخدمه فيه العوام . جاء في اللسان (جحش) : " الجحش من أولاد الحمير حين تضعه أمه إلى أن يقطع من الرضاع ... والآنثى بالهاء جحشه " وقال مارون مستخدماً هذا اللفظ القاموسي (87) " أن هموم مجدك المتواضع لا تقتضيك أكثر من جحشة فلا تطلب غيرها مركوباً " .

**الجرسة** : يقول العوام : صار فلان جرسه بين الناس ، أي أن السنة الناس تلوك سمعته وتتندر بخسسته . وتؤثر الخاصة ألفاظاً أخرى لهذا المعنى واللفظ وارد في المعاجم التراثية فالتجريس (88) : " التحكيم والتجربة وبالقوم : التسميع بهم " على حد تعبير الفيروز ابادي . وجاء في المعجم الوسيط (جرس) : " جرس بالقوم : سمع بهم وندد والجرسة : التسميع والتنديد بمن اقترف ما ينافي المروءة " . ومارون استخدم اللفظ في أدبه بدلالة المعجمية هذه فقال (89) : " يبلغ الخبر الوالدة فصاحت تقبر المدارس ... يا جرسنا " .

**جرش** : شاع على السنة العوام في عصر مارون عبود استخدام فعل (جرش) ومشتقاته . فالآلة التي تجرش الحبوب سميت (الجاروش) وهي صيغة أقرها المحدثون وهي آلة كانت شائعة في بيوت القرى لجرش الحبوب من قمح وعدس وغيرهما وربما استخدمت لجرش بعض الحبوب الداخلة في علف البهائم . والجرش يعني قشر الحبوب ونقها من غير إمعان في نقها . وجاء في المعاجم التراثية (90) " جرشه يجرشه ويجرشه جرشاً فهو مجروش وجريش ، وكل ما يبالغ في نقه فهو جريش " وقال مارون (91) " وفي الصباح أولاد أن يجرش عظام من بقي ممن يعرفهم " ولم يخرج مارون عن المعنى القاموسي للفظ وإن كان المجاز يسمح بتوسيع الدلالة لأن كل ما يبالغ في نقه فهو جريش . وقد استخدم مارون اسم الآلة المشتق من هذا الفعل فقال (92) : ظلت معدأتنا كما هي ، نطحن في الجاروش " .

**أجل** : يقحم العوام عبارة أجلك الله في كل مرة يتحدثون فيها فيذكرون أسماء البهائم أو الكائنات الخسيسة والتجسة . وهذه العبارة فصيحة مغرقة في فصاحتنا إذ قال اللسان (جلل) : " أجله : عظمه . وأجلته : رأيت جليلاً " ومارون استخدم هذه العبارة كما وردت على السنة العوام فقال (93) : " الحيوان - أجلك الله - تصدق أذنائه كل ما ينطق به فمه " .

**حد** : يقول العوام : قعد فلان حدّي . والخاصة تؤثر بجانيبي أو بقربي . وعبارة العوام أدق لأن بقربي وجانيبي دلالتان على القرب ولكنهما يبقيان على فاصل مكاني بين فلان ومن بجانيبه . أما عبارة العوام فتلغي هذا الفاصل : لأن (94) " حد كل شيء : طرف شبابه . والحد : الحاجز بين الشئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر " لهذا السبب أثر مارون الدقة عندما قال (95) : " وتناولت امرأة صغيرة أضبعها عادة حد رأسي " وقال في مكان آخر (96) : " فالرمانة حد الكنيسة ... كنّا نصطف خطاً مستقيماً حد حيط الكنيسة " .

**احتد** : يقول العوام محتجّين على من يصرخ في وجههم مضضياً : لا تحتد علينا . ويهرب الخاصة من هذا الفعل مع أنه معجمي . جاء في اللسان (حدد) " احتد فهو محتد : غضب

والمسموع في حدة الرجل وطيشه : احتدَّ " وزواج مارون في العبارة الواحدة بين فصيح العوامِّ وفصيح الخاصة عندما قال (97) : " أما تقول لجليسك إذا احتدَّ أو احتدم : خذنا بطمك ؟ " وأورده في معرض المجابهة والتصدِّي فقال : " لا تحتدَّ يا أخي " .

**حرد :** يقول العوامُّ : حرد علينا فلان : إذا غضب عليهم وتنحَّى عنهم . ويسألون الغاضب قائلين : لماذا حردان علينا ؟ وهذا الكلام من فصيح العوامِّ الذي استساغه مارون . جاء في اللسان (حرد) : " حرد يحرد حردوا أي تنحَّى وتحوَّك عن قومه ونزل منفردا لم يخالطهم ... ورجل حردان : متنحٍّ معتزل " وفي أدب مارون استخدام واسع لهذا الجذر ومشتقاته . قال في معرض حديثه عن حكاية النَّبي يونان (98) : " حرد يونان لأنَّ ربَّه لم يضرب له مدينة نينوى كما وعده " أمَّا صيغة حردان فأوردها عندما قال (99) : " فما دعا هذا البكاء الحردان إلى محضرنا إلا قول حسود " .

**حشك :** يقول العوامُّ : السيَّارة محشوكَة إذا كان عدد ركَّابها فوق قدرتها العادية على الاستيعاب . وحشك السائق الركَّاب : حشدهم وجمعهم . والفعل عتيق في دلالته هذه جاء في المحكم (100) : " حشك القوم حشكا : حشبنوا وتجمَّعوا " أمَّا مارون فقد استخدم اسم المفعول من هذا الفعل فقال (101) : " أمَّا اليوم ففي الترامات المزروكة المحشوكَة لا ندرى كيف نهرب من الجنبات " .

**حطَّ :** يقول العوامُّ : لا تسال إذا حطَّ الأهر على إنسان . بمعنى أنَّه عاكسه وواجهه بنكبات متلاحقة . كما يقولون إن حمل حملا ثقيلا حطَّه على الأرض بمعنى أنزله والمنحط عندهم : السافل الهابط الذي فقد مكانته واعتباره بين النَّاس . ومشتقات الجذر أصيلة في فصاحتها . جاء في اللسان (حطط) : " الحطُّ : الوضع ، حطَّ يحطُّه حطًّا فانحطَّ ... وحطَّ الشيء يحطُّه إذا أنزله والقاء ... والمنحط من المناكب : المستفل الذي ليس بمرتفع ولا مستقلَّ " . ويبدو أنَّ العوامِّ قد وسَّعوا دلالة المنحط عندما شملت إلى جانب المناكب الأعمال والمكانة وما إليهما . وقال مارون (102) : " صحيحج أنك بليد ، حطَّ الطَّبَّق ثمَّ ثرثر ما شئت " .

**الحلوان :** يقول العوامُّ : أعطاه الحلوان ، إذا بذل رشوة أو أجرا غير مفروض . فالحلوان عندهم عطية وليس أجرا . ويقولون : استحلَّى فلان بيتي : إذا وجده حلوا . والجذر فصيح عريق في فصاحته يقول ابن سيَّده (102) : " الحلوان : أجرة الدالِّ والحلوان (103) : " أجر الكاهن ثمَّ كثر ذلك حتَّى سمَّوا كلَّ عطية حلوانا " وهكذا نرى أنَّ العوامِّ يستخدمون الكلام بدقَّة . ومارون لمح هذه الخصوصية في الحلوان عندما قال (104) : " ويحرم الحلوان " فلو كان الحلوان أجرا مفروضا لما صبحَّ منعه عن مستحقِّه . وذهب في مكان آخر الى المزاجية بين الأجر والحلوان لأنَّ العمل الذي طلبه يحتمل الوجهين . قال (105) : " فهل من يدُلُّنا عليها وله

أجر وحلوان ؟ " وأورد الفعل استحلّى بزيادة السّابقة (است) قائلا (106) : " ثمّ يطلبون ممّا أن نتذوّقها كما تذوّقوها هم ، ونستحلّوها كما استحلّوها " أي أن نجدها حلوة كما وجبها .

**حاد :** يقول العوامّ : في من ضلّ طريق الصّوّاب : فلان حاد عن الصّوّاب . ويقول أحدهم مباحيا : أنا لا أحيّد عن الصّوّاب كما يقولون : تحايّثنى فلان إذا جانبهم وابتعد عنهم . والمعاجم التّراثيّة أثبتت دلالة الفعل كما يستخدمها العوامّ ففي الأساس (107) : " حاد عنه وحايده : مال عنه " وفي المحكم (108) : " حاد عن الشيء حيدا وحيدانا ومحيّدا : عدل " وفي الصّحاح (109) : " حاد عن الشيء يحيد حيّدا وحيدة : مال عنه وعدل ... وحايده محايدة وحيادا : جانبه " .  
غرف مارون من بحر المعاجم التّراثيّة ما تتناقله ألسنة العوام من هذا الجذر فقال (110) : " والقطار إذا حاد عن خطّه فقد قوّته وسرعته " واستخدم الفعل بمعناه الحقيقي وإن احتمل المجاز فقال(111) : " إنّنا نرثي جدّا لرجل حاد عن الطّريق " .

**خبص :** يعلّق العوامّ على كلام لم يعجبهم بقولهم : فلان خبّص وينعتون المتكلم بأنّه خبّاص . وفي اللّسان (خبص) : " خبص الشيء بالشيء : خلطه . وخبص الحلو يخبصها خبصا وخبّصها : خلطها وعملها " . واستخدم مارون هذا الجذر ومشتقاته فقال تحت عنوان هذا مذهبي (112) : " فكلّ أعمالي خبص في خبص " وقال في مكان آخر (113) : " فلا يكون البيان " خبصا في خبص " .

نكتفي بهذه العيّنة من فصيح العوامّ في أدب مارون عبود لنقول مطمئنّين إنّ مارون قد طلق العويس من الالفاظ لأنّ اللّجوء إلى الغريب عجز في صاحبه . لقد رأى أنّ خير الأدب كما قال الجاحظ : ما فهمته العامّة ورضيت به الخاصّة . ولأجل تحقيق هدفه هذا راح يعبر عن أفكاره بكلمات ومجازات حيّة عند النّاس ، لا في بطون المعجمات وحدها . لم يثر مارون على المعجمات بل رأى أنّ المعجم الحيّ كامن على أفواه النّاس لذلك أخذ مادّة أدبه من هؤلاء النّاس وردّها إليهم بقالب فنّي يرضيهم ويرتفع بذائقتهم الفنّيّة . لم يسقط القاموس من حسابه لكنّ المادّة المنتقاة منه كانت مناسبة ومتناسلة مع أنواق العامّة والخاصّة . وكانت عبقرية كامنة في صياغة هذه المادّة صياغة فنّيّة ترك عليها بصماته فكتب بهذا السّهل الممتنع الذي ما استطاع الآخرون فعله من غير أن يجنحوا للعاميّة .

أدرك مارون عبود أنّ لغة ثلاثة مستويات . المستوى الأوّل ويسمّى اللّغة المفهومة (114) التي تهدف إلى الإفهام كيفما اتّفق أي من غير أن نقيم وزنا لمستوى الصّحّة ومن غير مراعاة لقواعد اللّغة في صرفها ونحوها ومعجمها . هذا المستوى اللّغوي مرفوض من مارون عبود لأنّه يخلط العاميّة بالفصحى مروراً ولكنة الأعاجم وبذلك تضيق رقعة اللّغة ، وتكثر الدّعوات المشبوهة إلى إحياء اللّهجات . وهذا التشنّت اللّغوي يخرب الدّعوة السياسيّة الوطنيّة والقوميّة التي كانت ترسم

أما المستوى الثاني فهو مستوى اللغة الصحيحة وتكون اللغة فيه لغة إبلاغ ، وتحترم قواعد اللغة في صرفها ونحوها ومعجمها وبينيتها ... وإن لم يكن الكمال والنقاء البلاغي هدفاً ، إننا لا نشكو من عدم الفصاحة في التعبير لكننا لا نترك الفصحى لأنها تبحث عن الألفاظ . تهدف إلى الإبلاغ وتستعير من أهداف التوصيل الإعلامي بعض تقنياته . لهذا رأيناها تقترب من حديث الناس اليومي . هذه هي اللغة التي دعا مارون عبود إلى اعتمادها من خلال دعوته للاقتراب من لغة العوام . هذه الدعوة بوأت مارون كرسي الأستاذية في الجامعة الوطنية بعاليه (115) حيث قدم نظريته ومنهجه ، وراح يكتب علمه وأدبه بنبيرة شخصية قل نظيرها فترك بصماته المميزة على لغة عصره ، وحق له بعد أن طوع لغة الأدب أن يرى أن لهجة لبنان أقرب اللهجات من الفصحى .

ومارون في موقفه هذا لم يكن بعيداً عن الخلفيات الإيديولوجية . لقد رفض المستوى الأول من اللغة لأنه دعوة إلى اعتماد العامية ظاهراً ولكنها في حقيقة الأمر دعوة إلى العزلة السياسية ومحاربة للشعور القومي وإعلان القطيعة مع الجوار .

وتبنى المستوى الثاني من مستويات اللغة لأن هذا المستوى ينطلق من المحافظة على الإقليمية والوطنية لتتلاقى فيما بعد كل الروافد الوطنية وتصب في بحر القومية الواسع . وقد اتخذ من مسيرة الأديان السماوية هادياً ولبلاً . تجذر مارون في أعماق تربة الوطن لأنه جزء من أمه نهل من منهلها العذب لغته وأحاسيسه وتاريخه المجيد فتعامل مع لغتها الجامعة معاملة الابن لأمه فكان ابناً باركاً للغته وقومه ، وقياً لتاريخها متطوعاً إلى مستقبلها المنشود . وكان يعلم أن الأدب الذي يبقى هو الأدب الذي يقترب من الناس الطيبين ولا يقتصر على مخاطبة الخاصة وحدهم . إن مارون كاتب كبير لأنه منحاز في أدبه إلى الناس وقضايا مجتمعهم ، منحاز إلى لغتهم لأنه يؤمن أن اللغة مصير وليس وسيلة . إنها المقدس الذي لا يفرط به وإن يسمح لأحد بالمس بها .

أما المستوى الثالث والآخر من مستويات اللغة فهو مستوى اللغة البليغة . وهذا المستوى لا يكفي باقتناص الفصحى بل يجعل الوصول إلى الألفاظ والأعلى هدفاً يجهد في الوصول إليه . والحق أن مارون ليس عاجزاً عن بلوغ هذا المستوى من اللغة لأن خزينه اللغوي ثر معطاء والألفاظ طوع بيده تنثال على لسانه وقلمه بعفوية مفرطة . وعلى الرغم من اكتمال عدته وقدرته على بلوغ هذا المستوى اللغوي لم يكن طامعاً فيه ، ولم يقصد تحقيقه . كان يريد أن يفهمه كل الناس فكتب بلغة تروسي الجميع . أراد أن يتواصل مع أبناء الأمة بقضيتهم وقضاياهم فشكل وأحسن التشكيل ووصف وأجاد في توصيله . وكان منطلقه في توجيهه الأدبي محكوماً بأحد ثوابت عقيدته القائل : ماذا ينفع الفقه من لا يدرك قوله له ؟؟؟

## الحواشي :

- 11/3 او المجموعة الكاملة المجلد 10 ص 206
- 20 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 4 القسم 3 ص 95
- 21 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 4 ج 3 ص 95
- 22 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 4 ج 2 ص 67
- 23 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 4 ج 3 ص 97
- 24 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 357
- 25 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 357
- 26 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 665
- 27 - ابن منظور ، لسان العرب (غلا)
- 28 - ابن سيده ، المحكم 221/5
- 29 - سليمان ، فزاد ، اغاني تموز (1953) ص 22
- 30 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 1 ص 747
- 31 - الجوهري ، الصحاح 353/1
- 32 - ابن سيده ، المحكم 300/3
- 33 - مجمع اللغة بالقاهرة ، المعجم الكبير مادة (أحج)
- 34 - عبود ماريون ، سبل ومناهج ص 20
- 35 - ابن منظور ، لسان العرب (أم)
- 36 - الفيروز ابادي ، القاموس المحيط (أم)
- 37 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 1 ص 689
- 38 - صدر في الجلسة 32 د.1 مجمع اللغة بالقاهرة
- 39 - عبود ، جبران ، م.ك. المجلد 1 ص 605
- 40 - ابن منظور ، لسان العرب (أكل)
- 41 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 1 ص 727
- 42 - ابن سيده المحكم 256/4
- 43 - عبود ماريون ، سبل ومناهج ص 99
- 44 - مجمع اللغة بالقاهرة ، المعجم الكبير (أيش)
- 45 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 522
- 46 - الجوهري ، الصحاح 588/2
- 47 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 7 ص 257
- 48 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 4 ج 3 ص 81
- 49 - الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار صادر ص 36
- 50 - عبود ماريون ، سبل ومناهج ص 166
- 51 - ابن سيده ، المحكم 160/6
- 52 - الكوفي ، ابر البقاء ، الكليات 433/1 طبعة دار

- 1 - ولد في عيد ميلاد شفيح الطائفة المارونية في التاسع من شهر شباط من سنة 1886م في قرية من قرى بلاد جبيل واسمها عين كفاح فسمي باسم شفيح الطائفة لأن سليل بيت كهنوتي .
- 2 - مدرسة إكليريكية تخرج الكهنة مقرها في بلدة من بلدات قضاء البترون الوطني في قرية كفر حي . تعلم فيها ماريون بين 1901 و 1904 وتركها مطلقا التعلّم الديني .
- 3 - عبود ، ماريون ، المجموعة الكاملة ، المجلد 11 ص 21
- 4 - م.ن ص 22
- 5 - نسبة الى امير الشعراء احمد شوقي الذي رفع شعاره .
- كان شعري الفناء في فرح الشوق  
وكان العزاء في احزانه
- 6 - عبود ماريون ، المجموعة الكاملة ، المجلد 11 ص 25
- 7 - عبود ، ماريون ، المجموعة الكاملة المجلد 11 ص 27
- 8 - عبود ، ماريون ، م.ك. المجلد 11 ص 23
- 9 - عبود ، ماريون ، م.ك. المجلد 11 ص 32
- 10 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 404
- 11 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 404
- 12 - جلنار : كلمة فارسية تعني زهر الرمان
- 13 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 405
- 14 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 406
- 15 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 362
- 16 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 356
- 17 - أصدر الخوري ماريون ثمن كتابا عنوانه : حياة اللغة ومزتها - ألفه العامية سنة 1925 وفيه دعوة صريحة لاحتلال العامية محل الفصحى وعلى كل المستويات اللغوية وتبنا بالوت للفصحى .
- 18 - عبود ماريون ، م.ك. المجلد 2 ص 356
- 19 - جريدة الجريدة اللبنانية 1493 بتاريخ 1957/

- 84 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 227  
 85 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 25  
 86 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 94  
 87 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 2 ص 200  
 88 - الفيروز ابادي ، القاموس المحيط (جرس)  
 89 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 23  
 90 - ابن سيده ، المحكم 171/7  
 91 - عبود مارون ، سبل ومناهج ، ص 101  
 92 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 187  
 93 - عبود مارون ، سبل ومناهج ، ص 86  
 94 - الزبيدي ، تاج العروس (حدد)  
 96 - عبود مارون ، سبل ومناهج ، ص 24  
 97 - عبود مارون ، سبل ومناهج ، ص 260  
 97 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 26  
 98 - عبود مارون ، سبل ومناهج ، ص 52  
 99 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 550  
 100 - ابن سيده ، المحكم 21/3  
 101 - عبود مارون ، سبل ومناهج ، ص 238  
 102 - ابن سيده ، المحكم 4/4  
 103 - العسكري ، أبو هلال ، الفرق اللغوية ص 166  
 104 - عبود مارون ، سبل ومناهج ، ص 176  
 105 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 539  
 106 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 34  
 107 - الزمخشري ، اساس البلاغة ص 149  
 108 - ابن سيده ، المحكم 329/3  
 109 - الجوهري ، الصحاح 467/2  
 110 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 167  
 111 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 219  
 112 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 3 ص 202  
 113 - عبيد ، محمد ، في اللغة ودراساتها ، عالم الكتب بالقاهرة ص 504  
 114 - عالية ، بلدة لبنانية في جبل لبنان تعد من زجمل مراكز الاصطياف فيه .

- 53 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 228  
 54 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 22  
 55 - مجمع اللغة بالقاهرة ، المعجم الكبير ج 2 ص 418  
 56 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 7 ص 247  
 57 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 100  
 58 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 681  
 59 - ابن سيده ، المحكم 91/6  
 60 - عبود مارون م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 168  
 61 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 138  
 62 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 26  
 63 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 121  
 64 - مجمع اللغة بالقاهرة ، المعجم الوسيط ، (بوذ)  
 65 - مجمع اللغة بالقاهرة ، المعجم الكبير ج 2 ص 671  
 66 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 28  
 67 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 88  
 68 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 100  
 69 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 2 ص 7  
 70 - الزبيدي ، تاج العروس (يوس)  
 71 - الجوهري ، الصحاح 910/3  
 72 - ابن السكيت ، اصلاح المنطق ص 161  
 73 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 7 ص 249  
 74 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 239  
 75 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 19  
 76 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 2 ص 708  
 77 - مجمع اللغة ، المعجم الوسيط (بوذ) - والمعجم الكبير ج 2 ص 682  
 78 - عبود مارون ، سبل ومناهج ص 292  
 79 - مجمع اللغة بالقاهرة ، المعجم الكبير ج 3 ص 34  
 80 - مجمع اللغة بالقاهرة ، المعجم الكبير ج 3 ص 34  
 81 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 4 ج 1 ص 137  
 82 - ابن سيده ، المحكم 367/4  
 83 - عبود مارون ، م.ك. المجلد 7 ص 250

## « إليها » و « إلى الروح الظمأى » من ديوان « ولو مشيا على الجمر » لعلي المرزوقي

بقلم : محمد بن جماعة

التعامل مع النصوص الشعرية يفضي في أغلب الأحيان إلى الدخول في عالم التأويل والتنقيب عن المعاني الظاهرة والباطنة . والتصوص التي أبدعها الشاعر علي المرزوقي في ديوانه « ولو مشيا على الجمر » (1) تركت في ذهني مجموعة من الملاحظات والتعليق .

### حديث الحب :

بدما ، نقول إن الشاعر يصرُّ على إتباع عادة عربية قديمة متمثلة في الإهداء عند الدخول على قوم أو عشيرة أو قبيلة . والهدية تمثلت في ست قصائد ظاهرة ، والمتلقي هي الحبيبة المجهولة المعلوم ، فكان الافتتاح لهذا الديوان بنقاط استرسال ، فكلمة « إليها » ثم يعود الى نقاط الاسترسال ، وكثني بالشاعر يفصح عن قوة حبه ، ليقول خلف هذه الكلمة ويعددها ، « إليها » في الأول وفي الآخر ، بدايةً وانتهاءً ، فيصافح الشاعر حبيبته ، فاتحا باب الحب على مصراعيه وبأنا جميع أحاسيسه ، ليكون حديث الحب دافعا أول لخوض هذه التجربة ، تجربة الشعر والكتابة ، ويكون الرّحيل : « حبك » أضحى وحيلا « (2) حتى أنساه أمسه » أنساني حبك أمسي ! « (3) إن الحب الذي تحرك في كيان صاحب هذا الديوان لم يكن حباً عادياً ، لقد نسخ ماضيه المليء بمظاهر التعب والقلق وربما الحيرة ، هو الحب الذي ملا فكره وحسه ، بل تجاوز ذلك ليكون نغما محلصلا داخل جسده نابضا بصفة متواصلة ، باعنا وموآدا الحياة في روحه الشاعرة . وكثني بصاحب الديوان يلملم ذاته الحائرة ما بين الغائب والحاضر ، والمخفي والمحسوس ، فيفاجأ بجمال فتان تجمع في جزء صغير من مكونات الجسد وهو الوجه فيقول :

« وجهك ...

سحر الوجود

أشرق في الكلمات

وعينك

فيض النشيد

والدّفء والأغنيات

وممسك ...

لحن الخلود

ونبض موسيقى الحياة » (4)



إنَّ الجسد في مكوناته العادية معلوم ، فهو رأس وصدر ويطن وأطراف ... وهنا نجد مكونًا مخالفًا لما هو معلوم ، فالجسد أصبح شيئًا واحدًا هو الوجه ، وهذا الوجه يختزل الجسد وينفي ما نعرف فيه من مكونات ، ترى لماذا هذا الاختزال ؟ في رأيي يعتمد الشاعر ذلك لينفذ مباشرة الى عمق روح حبيبته من خلال أعلى نقطة فيه وفيها ، وهي الوجه (الرأس) وتجتمع فيه العينان اللتان « تقيضان » بالنشيد والدَّفء والأغنيات ، وتعلم ما للعينين من رسائل وإحياءات في غاية الدقة والتفصيل ... فالجسد هنا : وجه وعينان و «فم» لم يذكر إسمه إطلاقًا ، بل خبأه وأخفاه في لفظ و « همسك » .

ويتدارك الشاعر فيطلب من حبيبته أن تمدَّ « يدها » إليه ليبدد كلَّ اشتياقه وحيرته ، ليعترف في نهاية الامر بمكوّن آخر لهذا الجسد ، الذي يتكون في هذه المرحلة من وجه : قبله الشاعر واتجاهه ، وعينين : مركز النظر والمشاهدة ، ويدين : مصدر الحسّ المادّي . هذا ما يتبيّن في كامل القصيد الأول ، وما أحسّ به الشاعر إحساسًا ملموسًا طافحا بالدلالات ، أمّا المخفيّ فيه ، فهو « السحر » و « الغيظ » و « الخلود » و « الاشرار » عالم يتصل مباشرة بالغيب والماورائيات ، ويدخل في مساحات ذهنيّة يعيشها ويتنفّسها المرتبط بالطقوس الصوفيّة ، تلك الطقوس التي تجمع ما بين الارواح والارواح ، ليكون الحلول والرفعة والفوس في « الذات » الحبيبة والظفر بالاشراف والاشتياق .

وإئن انتقل الشاعر ليصف لنا « طفلة مجنونة » في القصيد الثاني ليحاول الخروج إلى مشهد آخر في إطار آخر نجده في كامل المحور - الذي يضمّ القصائد الستة الأولى - يكرّر سلسلة من المفردات لتشكل قاموسًا لغويًا خاصًا يفصل معاناة الحبّ ويفسر أحاديثه الملتبّه وإن غير عناوين القصائد وأحسن تسميتها فهو لم يخرج من دائرة الألفاظ التالية :

« وجهك » ، « سحر » ، « أشرق » ، « لحن » ، « نبض » ولم يفجر اللغة ليفوز بأسماء وأفعال واشتقاقات أخرى توسّع مجال لوحاته المبتوثة هنا وهناك ... لكن نجد الشاعر يشدّ المتلقّي أحيانًا بمشهد في غاية الحكمة ، كأن يجعل الحبيبة في شكل « الغيمة » وهو من الاستعارة ، فاصبحت تطلّ فقط لتفاضل المزارع ، مزارع العشاق ، المشتاق الى الماء والمشتاقه لضمّها ضمة تذهب العطش ، ثم تبدو الحبيبة كالتور السرمدي وكالّلحن الحزامي وكالتسمة الشرقيّة وكالدّعة العنيدة وكالفكرة المجنونة ...

إنَّ التّطرّق للحديث عن أحاسيس الشّاعر يحملنا الى عالم لا ينقصه إلّا البخور والركن القصي والصمغة العالية في جبل بعيد عن النّاس أجمعين ، وحجّة ذلك المصطلح اللّغوي الذي اعتمده الشاعر في القصائد الستة الأولى ، فيكاد لا يقلت عن دائرة عالم المتصوّفة والشّطحات ، فالإيقاع بطيء ، قريب من أجواء المتنبّل العابد الرّاكب الذي لا ينقطع لسانه عن الذكر ، والترديد لاسم معشوقه ، وما هو يصرّ في عنوان آخر ليقول : « ولي عشق » (5) لينطلق في عمليّة سردية تشكّل المرتبة التي وصل اليها الشاعر في عشقه « الذي ما بعده عشق » (6) كيف لا ؟

وقد كان المشهد موشى بمفردات سماوية عليا ترتبط بالنور والعشق والخصب :

«ويومض في ناحية من القلب برقٌ

فأراك...» (7)

فالوميض والبرق لمعان يشق السحب شقاً ، لينزل الماء من بعد ، ويكون فتحاً لحياة نابضة بروح الخصب ، والماء في جميع الحالات رمز للحياة لكن الشاعر بعد هذا الوميض وهذا البرق ينزل أساء منهجراً عوضاً عن المطر فيتبدل مشتاقاً ويحترق ، ومن الطريف أن يجتمع في هذا المشهد عنصران متناقضان في الطبيعة هما النار والماء اللذان لا يجتمعان في الحقيقة فالنار تنطفئ كلما نزل عليها الماء ، وقد جعل الشاعر للماء حمراً ؟!

وهاهو الشاعر في زاوية أخرى من هذا القصيد يكشف استحالة الظفر بحبيبتة لأن منطق العلاقة ما بين الماء والنار ، الماء والجمهر هي علاقة تضاد وتناقض . حينئذ دفعت هذه الحالة الشاعر للبحث عن مسلك آخر يريجه ويخفف عنه وطأة العشق ، وبعد الحبيب قلعاً الى تلاوة الحكمة ليدفع عنه الفراغ الذي يملأ ساعات يومه ولياليه ، فاخترل هذه الأحاسيس في أسطر شعرية قصيرة لا تتطلب وقتاً طويلاً في قراءتها وتربيدها . فاستنتج في هذا الفراغ أن «الصمت كلام» (8) وتنهياً للشاعر حيناً آخر أنه تمكن من حبيبته ، وسكن إليها بعد إصرار على التعمق والتعمق والكبرياء لعدم بوحها بمشاعرها فكانت كمن يلبس قناعاً ، وها هو يأمرها :

«انزعني الوجه القناع

حتى أرا نفسي» (9)

ويختتم الشاعر فصله الأول من الديوان بقصيد «قولي لهم» فستمعنا نفس الاثاثة القوي الذي اعتمده في القصيد الأول والثاني فقط ( «نبضاتي ، غيمتي ، سحر ، الحب ، الاصول...» ) وإن أتى هذا القصيد في المرتبة الأخيرة يتأكد من خلال التواريخ المذكورة ( سنة 96 - ماي - جوان ) أن الشاعر أرجأ خبر حبه المعلوم الى مساحة متأخرة في حديثه عن الحب ، لينسج التجربة بأكملها وحرارتها وعمقها المتوقّع «قولي لهم» هو نداء صارخ وواضح لإذاعة الخبر وطلب لنشره على لسان الحبيبة .

### حديث السروح والوجود :

بعد أن أخلص في كلماته الأولى التي تجمعت في قصائد الاهداء «إليها» وبعد أن بين مدى عمق الحب الذي سكن صدره وجعله في حالة قريبة من السحر وبعد أن أصبح في زمان ومكان لا يتفصل عن أحوال الطبيعة بنورها وظلامها ، ها هو يمضي (الشاعر علي المرتزقي) ليستلهم جملة من المظاهر مثل «الغيمية» و«المطر الهطول» ثم نجده ينتقل بنا الى وجهة أخرى لها صلة وثيقة بالأولى إذ لا تخرج عن دائرة الوجود والروح والطبيعة فالمعاجة لأغلب أحاسيسه ضبطها في جملة من العناوين ( صباح - مساء - سفر - خريف - شتاء ... ) وكانت

التجربة التالية :

1 - **الاقصاء** : لقد تكّد للشاعر وجود الرّثابة المستمرة فهو الذي ينهض كلّ صباح « متثاقلاً وكثيباً » (11) لأنّ الصباح لم يطلع عليه بحقيقة يتمنّاها ، أو غنيمة يتحسّسها ، أو كسب يملأ فراغه . وبالرغم من أنّه لم ير هذا الحلم إطلاقاً مدحه فقال :

– « ما أروع حلمي الذي كان سيأتي

لو لم يأت الصباح » (12)

فالحلم لم يره ولم يتجسّد ولم يتكوّن ، وبالتالي لم يكن ، إنّ العادة تفرض ارتباط حلول الصّباح بحلول الضيّاء والفرح والتّفاؤل لكنّ المشهد هنا عكس المعقول ، فالصباح لدى الشاعر حسم الأمر وأثبت الاقصاء ، الاقصاء من ممارسة الحلم ، لماذا ؟ لأنّ الحقيقة أقوى ، فتمنّى بصفة غير مباشرة أن يتواصل اللّيل إلى الأبد ليفوز بحلم قد يأتي فجأة !

2 - **الاحتراق** : إنّ الشاعر يتابع تطوّر حالته بومي حاد وخاصّة في ساعات اللّيل أين يجتمع الارق والسهر والقلق :

« وهكذا الفتى كلّ مساء

يحترق الوقت

ويحترق ... » (13)

فالوقت يمضي ويمرّ تاراً تشتعل في ذاته لغيباب من أحبّ ، الطرف أو النّصف الآخر ولغيباب الفكرة فكرة الشعر والبرح ، ولغيباب من يؤمن بوجوده وقتنته فلا مؤنس ولا جليس إنّ يحترق كما احترق في قصيد « طفلة مجنونة » (14) وقصيد « ولي عشق » (15) ولكن هل يستطيع أن « يحرق » الوقت من « يحترق » ؟

3 - **دعوة للتفاؤل** : يملأ الشاعر كيانه في هذه المرحلة بحديث له صلة بالتفاؤل فيدعو مخاطبه للمشّي قدما وإنشاد أغنية جميلة تزهر بها القلوب لكن سرعان ما ينكمس على عقبه ليعود مرّة أخرى متشائماً يأنسا فيقول :

« نحن الذين نموت ... وتهرم أغصاننا

ويظلّ واقفاً أبداً

لا يهرم الظلّ » (16)

4 - **النهاية** : ويسجّل الشاعر بكلّ أمانة أحاسيسه المضطربة الملتبّية وإن اكتنفها في بعض الأحيان شيء من الغموض ، فيعلن عن فقدان الحبيب بعدما قال :

« وأولّ الزّهرات لديكم الأخيرة

فُطفت قبل أوان القطاف ،

فكيف يزهر الدّرب الآن ؟

وكيف العطر يجيء ؟ » (17)

انتهى الامر بعد أن « فُطفت » الزّهرة من مجهول وأنّ الألوان لمحو الرّبيع من الذاكرة فقد

« يُعطى » لا ، بل لن يأتي أبداً بعد فوات الأوان .  
 لكن في القصيد الموالي يصرُّ على حبه العميق فيقول :  
 « فأتانا لك كنتُ  
 ومازلت السُّنْدُ  
 ولتغرب الشمسُ

فستشرقين أنت غدا » (18)

لقد سكن هذا الحبّ العنيف أحاسيس الشاعر فلم يتخلَّص من البوح ، ولو ضمن سطر واحد ،  
 وما هو في قصيد « خريف » (19) وهو خاتمة الفصول يحدّد ملامح طريقه الجديد بعد أن  
 انتهى كل شيء وغاب الحبيب ، ليجد « غير خريف يختصر العمر وحريق آلام وتيه » إنّه يسير  
 في مسلك لا يعلم نهايته إنّما « يتنفّس » بدايته وحياءه ، ولذلك كان « المتّسع »

« فمازال في القلب ...

متّسع لكي يحبّ

ويحبّ ...

...../.....

ولكن بلا من تحب ! » (20)

5- البحث عن التوازن : يختلط الشعور بالحبّ مع الألم ويزداد عمق الجرح وتضطرب المحبة نارا  
 كما وصفها الشاعر في القصائد الأولى من الديوان لكن الوضع يختلف هنا نسبياً إذ كاتني  
 بالشاعر يبحث عن توازن في غمرة هذا الاحتراق المتواصل لينجو بنفسه ويخرجها من وسط هذه  
 المساحة الضاغطة والمسيطر عليها من زوايا عدّة . فهل يقف من حبيبته ويتركها أم يواصل الطريق  
 معها ؟ لكن أي طريق إنّهُ الطريق المسدود فيها هو يخاطب نفسه معزّياً بالقول حتّى لا ييأس من  
 حقيقته :

« وأنت كما أنت

يبعثك الوقت

شوما على من حوالياك (21)

فالضوء نور مصدره الشاعر ، يضيء به على من حوالياه والعملية الثانية التي تزيد في توازنه  
 عندما سطر الأهداف التالية والتي تتركّب من :

- الاعتماد على الصديق (22)

- محاسبة النفس والتدبّر (23)

- الوصايا (24)

لقد اختار الشاعر الصديق بحثاً عن توازنه ، ربّما ليودع عنده بعض الأسرار ويلوذ إليه وقت  
 الشدة والافتضاء ، ويرافقه عند المحنة ، وحتما لن يكون الصديق صديقا حقيقيا أي إنسانا ما ،  
 وإنّما الصديق هو الشعر ، هو المسعى الحقيقي ، ونهاية المطاف فيها هو يخاطبه بالقول :

– « قل لي : كيف أسافر فيك

وَصُلّا إِلَيَّ ١٢ » (25)

إنَّ التوازن الذي يبحث عنه الشاعر يصل إلى درجة قصوى في نشوئه عنده ، عندما يتوجّه إلى نفسه بالوصايا والتي تتمحور حول الدعوة إلى مزيد الكلام والبوح ، ولعمري لا يكون ذلك خارج قول الشعر فيه « تستريح الرّوح » (26) .

#### الآهات :

1 – ولو مشيا على الجمر – علي المرزوقي – دار سحر للنشر – الطبعة الاولى – ديسمبر 1996

16 – الديوان : ص 17	2 – الديوان : ص 5
17 – الديوان : ص 18	3 – الديوان : ص 5
18 – الديوان : ص 19	4 – الديوان : ص 4
19 – الديوان : ص 20	5 – الديوان : ص 8
20 – الديوان : ص 21	6 – الديوان : ص 8
21 – الديوان : ص 22	7 – الديوان : ص 8
22 – الديوان : ص 23	8 – الديوان : ص 9
23 – الديوان : ص 24	9 – الديوان : ص 10
24 – الديوان : ص 25	13 – الديوان : ص 15
25 – الديوان : ص 26	14 – الديوان : ص 6
26 – الديوان : ص 27	15 – الديوان : ص 8

## العشاق

\* تصدير: "لا أدري ما الهوى، ولكنّه جنون إلهي"

\* ابن داود الإصبهاني

شعر: المكّي الهمامي

إنّ فار في أعراقنا شبق  
واعشوشبت من تيهنا الطّرق ...

سنحوك يا ...

من غيّنا وطننا

يأتني إليه الله ، ينعتق

إنّا إذا ما ضمّنا كفن

فلنا دماء الرّوح تندفق

لا شيء في الأعماق يسكرنا

إلاه ذرى الأحلام تأتلق

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhril.com

.....ها قد تغشّى اللّيل خيمتنا

واختضّ في أحداقنا الأرق

قمر يطوّف في السّما هوسا

يغفو على عتباته الأفق

والبحر يرتق فتق ذاكرة

يقتات من أعصابها القلق

ويخيط من غلس الرّوى امرأة

طفقت على البلور تنزلق

.....وحددي ، أجذّف في جدائلها

وسواحل الأشواق تحترق

## « الطَّارِء .. المتوالد »

شعر : محمد الفرطوسي

- العراق -

كانت الفكرة طارئة

على نار حامية من كلمات الرب

تنزج طينتنا المعدة للتناسخ ،

ومنذ أول دبيب المغنطة الكون ،

وأول عملية استنساخ لوجهنا

والحياة طارئة ..

حين أوقفني الخيال

ثلاثين عاما على رأس دبوس

أنتظر الخلاص !!..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.com>

من كوني مصلوبا

بين كلمة أمضغها فأكون نبيا ،

وكلمة تمضغني فأكون لصا

والمواقف طارئة !!..

وعندما ساد التفاضل

بين سعر الصرف ، وسعر السوق

وقانون الأرصفة ... حينها

أصبحت المشاعر حالة طارئة !!..

فها نحن نلتقي مملوئين بغبار الألكترونيات

وغبار الذهب والفضة ،

ونشم مبهورين .. غبار الطائرات النفاثة

رغم هذا ...  
نتحدث عن الأزهار والنخيل والقمر ..  
بقينا .. أعدّها حالة طارئة ...  
إذ مازلنا مهزومين  
أمام الكأس والمدفأة  
والمرأة الطارئة ..  
ولكنك .. حينما أقسمت لي  
أنتك .. موجود ، موجود  
موجود .. !!  
تأكد لي أنك قد نسيت  
أننا .. نشكل حالة طارئة  
فها هي سلاتي الطائرة إمتداد لسلالات طارئة  
جدي .. ذلك الزمن الطاريء لمرحلة طارئة  
أبي .. سليل طاريء لرجال طارئين  
نحن .. امتداد متوازي الساقين  
لرغبة طارئة ..  
كان علينا دائما ،  
نعدّ أشياء هم واسماء هم الطائرة علينا  
حالات مقدسة ..  
متنزهة عن ادعاءاتنا المفروضة  
متزينة بالزخارف والرموز  
لحضارات بالية وحضارات طارئة  
يروعني دخولها من باب التساؤل



معبئاً ساعات عمري  
بالزمن الطارئ واللحظة الطارئة  
وأقوم تاريخاً من الدمامل  
والرؤوس المملوءة بالسّخافات الطارئة  
تلك هي مخارج الأمور  
عند كثير من المتبدلين والفارغين تماماً مثلي  
حتى إنني تنبّهت ..  
ان رجولتي شيء طارئ  
تصيب الحبال المتوترة ، انحناءات صرختي  
بالخنفساء المصعلكة ..



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrilab.com>

وبوجه « سحير الليل »

طالباً منه ..

ان يكفّ عن تسكعه حول مأذنة المدينة

أنثاء .. تنتظر عارية

متنزّية بدم الضحايا

يشهد لي بذلك ..

هروب الفئران المتأرّبة

من بين أدراج خزانتي الفارغة

وانوثتك المباحة لعناكبي

الملتصصة ..

عدت بعدها مزهوا

متلمّضا .. بانتصاراتي

مقهقها .. / يا للكرامة / .. !!

## - رهيل الجسد -

شعر : طارق الحزامي

مذ كان جدِّي  
يدفع الظلَّ الطويل  
حاملا جوف المصيبة !  
هاجرا أعشاش طير  
في الأماسي العصبية  
صاح درويش المدينة :

دون صمت  
بل بأصوات رهيبة >>  
... بعد يوم  
منذ حلت دجنة الليل الحزين  
قال سكّان المدينة  
>> كاسر الأسوار سافر

>> شمسنا تبدو كئيبة ...>>  
>> إن طير الغائين  
حلّ في الدّار الحبيبة  
حاملا صكّ الفراق  
معلنا هجرا وبعدا  
قاطعا خيط السّنين  
ناقثا ريحا غريبة ! >>  
>> بعد حين يرحل الأحباب عنّا  
للبعيد ...>>  
>> شيخنا المسكين راح  
تاركا أرضا رحيبة  
نبعها جرح المنية  
يقتفي ظلّ الدّوالي

## جمجمة المدينة / الرسالة

تصدير: أتسألني كيف حالي وأنت جواب السؤال . (سميح القاسم)

شعر : عماد الحقي

الإهداء : اليها موطن الرّوح إلى نادية بن حسن شاعرة مبعده !

ومرّت جماجمنا من خريف الأصابع تتلو !

كلّاما إلى موكب العين ليلا

وتغمد في الرّيح أقوام يثرب

تدجج بالفحم غور المجايا

وتبض المسافات

خلف القطار

ومرّت جماجمنا خلف وجهي

تثير أساطيرنا للتّنايا

تدثر في مخمل الأمسيات

جحيم التّناهي

وترسم في تعتقات التّشديد

خفايا النفوس

وتحنو على العتمة الباقية

فترسم فانوسنا المرمرى

وشمعتنا الدّامعة

وتسأل عن ركب شمس يحلّ بلمّ المكان

يفجّر ظلمتها السّاكنة

لتحمل فانوسنا ثمّ تمضي

وتمضي نواة المؤرّخ في سرد أطوار كلّ الحكاية

تمدّ الأيادي وراء الضّلوك

وراء مناجم عين

تسطرها قاطعات المسافه

تفرك أغصان سرو

تصوّر في كلّها موميا

وتبغا ...

وطائرة البطل البربري

وعين حبيبته الساحلية

تمرّ الأيادي لقبو الجماجم ريحا

تنقّح ما فيها من أمنيات

ومن غزل حنطته السماء

وتمضي وأبقى وحيدا

أجدّد صوتي

أجدّد هيكل عظمي

وأمرق خلف الضلوع

جماجم النّائحين ...

جماجم الرّازحين على ظهر خيل قديمة

أعاهد هيكلها الساحلي

أضمّده بإطار القديم

وفي زوابع القصيد

وفي أسطر جدّتها المآقي

وفي صورة لمرؤس البحيرة لما

تشقّ السماء لتبتّع من حفن

صحرائنا الخاوية

وتمضي - وأمضي - !

لأبقى وحيدا

أراوغ أسطر حادثة في الجريدة

خرافاتنا الصّامتة

وسرّ الطّيور التي غادرتنا

" ولم تنته بعد من قطع كلّ المسافة "

وتمضي

فأمضي

وتمضي الجماجم خلف الجماجم ،

خلف أيادي الجليد

وخلف سطور ...

تعاود محجر هذي المدينة / الرّسالة .



## قصائد

شعر : خالد رفاوي

فاتحة : يا بيتنا مهجور... يا زمننا ماجور... يا وجعا مأسور... يا وحشة امرأة تكلى تنحب في  
أرض بور .  
- بلد الحيدري -

- (1)  
مدينة ميتة  
تنتحر بأظافر أزقتها  
يملؤها الفراغ  
والأمنيات الزائفة
- (2)  
إذا استطعت أن تقتلني  
فلن تستطيع  
أن تقتل الموت في...  
(3)  
أورثني جدي  
ماذا أورثني جدي  
تذكرت جيدا  
لقد أورثني  
رغبة في اليقيق ..  
(4)  
الأنثى التي تحاصرها  
الذكورة  
لا تخفي خشيتها  
لكنها تريد تشديد
- الحصار ..  
(5)  
آخر الليل  
اللحظة الشعرية  
أشهى من امرأة ..  
(6)  
نهد تناسي  
استدارة شكله  
يوم تذكر  
كروية الأرض !
- (7)  
المرأة التي أحترق  
في حبها  
تحبني  
لكنها تحبني  
بقدر ما أحبها  
لذلك أحبها تحبني  
تحبني ، أحبها  
لأننا لم نلتق !

(8)

السَّيْرُ إِلَى الْأَمَامِ

مَشَى

إِلَى الْخَلْفِ !

(9)

الْقَصِيدَةُ

الَّتِي لَا تُضِيءُ الْقَلْبَ

تَحْرِقُهُ ..

(10)

سَادَفَع

عَنِ الشَّعْرِ

بِأَلَا فُهِمَ

(11)

لَدَيَّ أَصْدِقَاءُ يَتَضَاعَفُونَ

بِلُغَةٍ تَتَهَافَتُ

الطَّرَحَ

هُمْ طَيِّبُونَ يَقَارِبُونَ الْمَحَو ..

(12)

الشَّاعِرُ الَّذِي أُرِدْتُ

أَنْ أَكُونَهُ

أَجْهَضَهُ الْمَكَانَ ..

(13)

الْحِصْنُ الَّذِي لَا يَضَعُنِي

أَتَأْمُرُ عَلَيْهِ

مَعَ حِصْنٍ آخَرَ ..

(14)

الْقَلْبُ الْكَامِنُ

فِي الْقَلْبِ

سَيَهْزُمُ دَاخِلَهُ

عِنْدَمَا يَحِبُّ ..

(15)

أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ

لَأَنْتَنِي هَكَذَا ؟!

(16)

التَّفَاحَةُ شَهْوَةُ الطَّبِيعَةِ

وَالْتَّهْدُ شَهْوَةُ

الْإِنْسَانِ

وَالْأَرْضُ شَهْوَةُ

اللَّهِ ؟!

(17)

أُخْرِجِي مِنِّي الْآنَ

لَقَدْ اكْتَمَلُ

شَكْلُكَ

دَاخِلِي ..

## الصَّكَّاتُ المِمْيَاءُ

شعر : عبد الفتاح بن حمودة

الى محمَّد لطفني اليوسف ...

( حزنك مثل الجبال

مثل شمس تسيل بين الحروف ،

كيف أخذت من شعرها الموجات

والحروف كيف لجمتها ؟ !

أين دماؤك الخضر أينها ؟

وهل قلت نهارك فوق الجدار ؟ !

أنت شعاع المياه ووعي الرخام

أنت سقوط الأعالي على الأسافل

أنت وقوع النهار ! )

( لا شمس تحتي لكني سوف أنام ...

شجرا في يديها ووردا بعيدا .

يدي معدن الفجر

والشمس في شفتي رميتها ، في المياه وفي الكلام ! )

( الرؤى عند بابي ..

والأضواء زرقاء أو خضراء في يدي .

إمّا كنت المياه

واشتعال الزجاج

أو سأمشي علي ! )

( إيقاعي حزن الشجرات ووقع ورداتي فوق الأمطار .

ولولا أعطيت أعناقني الحياه ...

وأولَّ الرِّيح ...

وأخراً الأرض ...

أعطيتُ البروق ...

وصخر اللغات أقمته أسفل الغابات وأشعلته في المياه !  
( لا أحتاج النور ، ولا أحتاج الحب ، ولا أحتاج القراء !  
أحتاج أصل يديّ على الأعشاب وحشد الصّباح على شفاهي  
أحتاج دالية لرتق اللغات

لايلاف أحلامي وإشعال وردتي في السّماء .  
( أحتاج القمح في الأسماء وأحتاج عذاب القراء  
أحتاج غاباتي ...

أحتاج << اليونان >> (\*) وأحتاج كلمات النّهر  
أحتاج هاماتي ...  
أحتاج ما بعد النّور وأحتاج ما بعد الحبّ وأحتاج ما فوق  
وأحتاج ذهول القراء

أحتاج ورداتي ...  
( لا أخون أحلامي . أصعد في الحرائق . كل أعوامي حطامي .  
أنا ما ليس ينتظر . أنا البعيد . البعيد .  
أصعد في حطامي . أنا ...  
ما ألقى نجم على الرّمال ، أنا ماء أحلامي وورد الليالي ،  
وليل الجبال ، أنا ماء ما ليس ينتظر . أنا حياتي  
أنا حبيباتي  
أنا ورد الحكايات . أنا ما أريد

أذهب في الرّوى . أضىء الدّماء وأعلو ...  
( شفاهي على الحجر !  
( خطاي الجحيم ولفظي على باب الدّجى ...  
عاريا إلّا من الأزل .

كأنّي حياتي ،  
كأنّي جبالي ،  
كأنّي طفولاتي ،





# عرس في قرיתי

بقلم : بلقاسم برهومي



« التهامي باش يعرّس »

وانطلق الخبر بسرعة البرق ينتشر بين  
النّاس وتتناقله الألسن في لهفة والبهجة  
تقمر كلّ القلوب وتبدو ملامحها على  
الوجوه ... أمّا هو فلا تسل عن مقدار  
فرحه في تلك الأيام .. إنّها أيام

معنودة في عمره المجذور الذي نوت زهرة شبابه في ظلام الداموس ...  
إنّك لتراه يبتسم لكلّ من قد يعترض سبيله وفي ضحكته أسرار ...  
وأسرار ...

أما « خالتي ربح » والدته فلا يهدأ لها يال ، ولا ترتاح ... تنتقل بين  
المنازل في « الدشرة » لتجهّز بعض اللوازم و .. تفتتم الفرصة فتلح  
على أهل البيت :

- « نهار العرس اتجونا ما تنسوش »

وقد يطول بها المجلس مع النساء فيسألنها :

- « التهامي عاجبتاتو المرا ١٩ ... »

وتضحك ملء شديها :

- « ياخي الطفل ايهز راسوا قدام والديه ٩ ! ... »

وحتى تقتنعن بحسن اختيارها تقول :

« الصالحة راهي امسميه علي التهامي من الصغر ... »

« خالتي ربح » عجوز طاعنة في السن ولكن السعادة زرعت في

أعماقها شعورا بتحدي العجز والالام ... وتمضي الأيام ...

وموعد العرس يقترب ...

الساعة السابعة تدق .. وضع التهامي الكاسكه فوق رأسه الذي غزا

مفرقه الشيب .. وقال :

- « ويني الآنبة ١٩ .... »

وجاء الصوت من فناء الحوش :

- « هاني نعمر فيها بالكريون ... »

وقال يستحثّها :

- « الوقت جا ... »

وبخلت « خالتي ربح » ثم شددت على يديه في حنان الأم ... لحظات تمر .. قالت : « يا التهامي وليدي العرس قريب ... ربح فخار ربّي ... »

والتفت يتأمل وجهها وكأنه يراها لأول مرة ... ثم انحنى فقبل جبينها وهمس :

- « الوقت صعب ... »

كانت ليلة الريح فيها تعوي كهواء الذئب الحائد .. والبرد يزحف بقسوته اللاذعة ... بينما التهامي يسرع الخطى في عزم ... هكذا الكاحون في قريتي النجمية .. الا تسمع طريقهم صغاب أو عراقيل ... يكبحون ... يكبحون ... ويضحون ...

وأحس التهامي بالفء يسري وهو يرفع الباله في ظلمة النفق ... مضت مدة من الزمن وكنت لا اسمع سوى صوت الفاقونات وهي ترتطم ببعضها البعض والباله والبيوش ... وعندما جلس لينال نصيبا من الراحة مع رفاته العملة مسح العرق المتصبب بغزارة فوق جبينه الأسمر ... وأحس بالعطش في أوصال جسده المنهوك المتداعي ... فخرج من هناك ليزود الأصحاب بالماء ..

وطال الإنتظار ... وهم في أوج الحيرة .. تنأى الى أسمائهم على بعد المسافة صوت يتنادي : « الماء جا ... الماء جا ... » وسرى بينهم الفرح ظلًا منهم أن التهامي يبشرهم بالماء يطغى نار الظما والتعب ... لكن المفاجأة كانت أغرب ! ... كان الماء سيفغر بسيله الهادر كامل الأجسام ... وتتدفق المياه ... وتتدفق ... ولا من مغيث ... الماء يزحف بقوة عجيبة ... ينحدر من قاع الوادي ليصب في عمق الداموس ...

سدت عليهم منافذ الخلاص وباتت محاولات الهروب بالفشل ... والخيبة ... كلمات قالها العمال قبل أن يرحلوا في عالم مجهول : « أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله » مات المساكين .. وبقيت عيالا تتصور جوعا .. وأطفالا يتامى في هذا الوجود ... أما التهامي فلم يعرف أين حمل الوادي جسده ... إنه الوحيد الذي لم يترك أسرة تبكيه وأولادا ينتظرون عودته بفارغ الصبر .. لقد خلف وعدا للجميع بعمرس في قريتي ... لم يتم ..... وتصول .. وتجول عجوز وهي تلطم خديها وتعبث بشعرها الأشعث كالمجنونة وقد يحولها أن تصرخ عندما يتحلّق حولها جمع غفير من الناس :

- « التهامي باش يعرس » ...

- \* « التوهامي باش يعرّس » : التوهامي سوف يتزوَّج عمّا قريب
- \* « ترتاح » تستريح
- \* « الدشره » : الحيّ الشعبي
- \* « نهار العرس اتجونا ما تنسوش » يوم الزفاف أنتم مدعوون للحضور
- \* « ياخي الطفل ايهز رأسو قدام والديه » : هل الولد يستطيع أن يرفض رغبة والديه ؟ ...
- \* « الصّالحة راهي مسميّة على التوهامي من الصّغر » : إشارة لإحدى العادات والتقاليد الشعبيّة بالجنوب التونسي وهي أنّ فتاة وما يشار لأنها ستزوَّج شاباً معيّناً عندما تكبر .
- \* « الكاسكه » : الخوذة الحديدية
- \* « الأنبه ؟ » : المصباح الذي يستعمل لإنارة النفق
- \* « الحوش » : المنزل الواسع الأرجاء
- \* « هاني نعمل فيها بالكربون » : إشارة لأنّ المصباح يشتغل بمادّة الكربون
- \* « الوقت جا » : موعد العمل قد اقترب
- \* « رتّح فخار ربّي » : خذ قسطاً من الراحة
- \* « الوقت صعب » : إشارة لتعقّد الحياة وأيامها
- \* « الباله » : من أدوات العمل المنجمي
- \* « الفاقونات » : العربات التي يجرها القطار وهي تحمل الفسقاط
- \* « البيوش » : الرفش
- \* « الماء جا ... » : الماء يزحف نحو الموقع .



## فتوحات ناجي المارق

بقلم : السيد مرابطي  
الجزائر

### 1 - فطام

وأنا صبيّ وديع ، كدت أشبّ على حسب الرضاعة .  
فجأة ، ثدي أمي ، ما زجت حليبه مرارة شقية . مؤامرة ما  
حيكت ضدّ مائدتي الملكية . غلبة تقيّات . بكيت ثلاثة أيّام  
وبيتنا ضاحك .

أمي الطيبة شفّتها حالي ؛ دوايك أطمرت قوالب سكر في  
فمي .

هروايت لبضع سنين حافي القدمين .  
أطارد الفراش اللعوب بمعسول لعاب .

ألاحق بنت الجيران وعلى لساني حلالة لا تنوب .  
أدخل الإختبارات والسكر سلاحي السريّ  
ثلاثون عاما مرّت ...

الفراش اللعوب أكله الخفّاش بالحديقة .

بنت الجيران أمسك بها شهريار بلدتنا .

إختبروني رسيت ! ... قالوا : السكر خطر عليك بعد الثلاثين .  
سقط مرّ الفطام في فنجاني . تهت في صحاري العمر  
أرعى شجر الصبّار . بعيدا عن حضن يلقاني بطعم السكر ،  
وحدي أستغيث : >> بالله أينك ؟ ... أما من حيلة أخرى لهذه  
المرارة يا أمي ؟ ...

## الحدثان والأمكنة.

رأسي بارودة الصَّخْبِ تعبٌ . صوت بها  
يعبر المسميات والحدود . عند منعرج حاسم ، عساكر الإفرنج  
ببيتنا يخيفها صندوق أمي تهشمه ، تفتاظ . يقفز جنونها  
لواجهة . تقلب ظل أثاث : سدة وغطاء . التفتيش دقيق .  
يشمل باعوضنا وقملنا . دهاء ! ..

عمّ تبحث العساكر ياترى ؟ ..

عناية السماء ، لم تعثر على كنزنا . فنصف الحلم  
خبّاته أمي في عروقتها . لذا ألحظها تنود في عتوّ .

## الحدثان ينسفان الأمكنة.

لا صوت هناك ، لا مسميات لا حدود .

عند المنعطف ، أراني لا أشبهني . خيال حشد على الحاشية  
يقضم ما تبقى من الحشى . بلا ريب ، هي الأجرام ركبت  
رأسها .

نيسان في الرماد ، التّرجس ترمّد وانكفا حين يح صوت  
الدّوري وأمّسك . دكّرني ، دكّرني . فتاك هذا الجليد والدّروب  
مقفرة . استفهمها الأشياء ، تنكس الجبين .

أستطلقها الرّفاة ، يقبرها العويل .

كرأستي القديمة ، تطلّ على الدّنيا معي بنصف عين  
دامعة .

عمّ تبحث يا فتى ؟ ..

تقلب وتتيش ، تطلّس وتغمس ! .. اليباس بالمواسم ،  
والشّجر أوراقه قبضة الهبوب ... عناية السماء ، مازلت واقفا  
يا فتى ، لم يحن بعد سقوطك .

والدتي في غفمة : نم يا ولدي نم ! >> .

أغمض مجهدا . تعبَ بارودة الصَّخَب . العساكر يخيفها  
صندوق أمي تهشمه . يقفز جنونها للواجهة . باعوضنا وقملنا  
تحت التفتيش . أمي في عتوداندة . الدروب مقفرة . نيسان  
في الرماد . الجليد ... الجليد يفتك بي . الأوراق والسقوط  
ونصف حلم لم يعد في العروق .

ما الذي يجري هنا ؟ ..

الشارع مبلل يصطك .. يحملق في ثمّ ... يفرّ مني فزعا .

### 3 - فتوحات

بالحلم بياغتني هذا العشق . يزجّ بي في أروقة حكايا  
المعجزات . تقوم أمزوجة تسري ، تفتح لي بابا لأزمة  
موصدة . أدخل . ترتفع سحابة من غبار . هناك ، صبيّا  
أجلس في حجر أمي فاغرا فاي . يخطفني نقر الأكف على  
الدف . دوران الرّحاية . النّوبة والدراويش . عوانس تصطف  
طمعا في بشاردة .

من سرق مني فؤادي ؟ ... التمس مكانه . أقسم أنني  
رأيت الجنّ يعمق من خنصر النسوة الخبل ! ...

ما السّحر ؟ ... ما سلطان الدرويش على الرّقاب ؟

كن قطبسا ! ... الأقطاب ... نعم هم الأقطاب على  
شاكلتهم وأصرخ . صرخت ... اغتصب السلطان فتوحاتي .  
وقفت في حلق أشتم ... بيباب الزّنزانة أشتم . ضحك مني  
مجنون .

الصّبح نذير . خرجت جارة ، تضرب كفا يكف . ديكها  
الأحمر « بات ولم يصبح » تمتعت وأنا أفصل عنقه عن  
جسده ! لكن لم يستحل جملا ! ؟ ..

ما السّحر ؟ .. ما سلطان الدرويش على الرّقاب ؟ ..

لا .. لا ! .. دونك الثروة فاظفر بها . سرت . بابا أفتح ،  
بابا أغلق ... خلّفت وراثتي حصاد جماجم . ضمنتني  
الضافر ، انخرطت بعصبة الأعيان . متاهة أخرى .. ماذا  
دهاك يانا جي ؟ .. أين أنت منك ؟ ..

بالحلم ، يعجّ رواقني بأريج ، بخور الهند . طيوب  
السند . أقعدوني على جزات العهن : « ناجي لا تتحرك ! ..  
أبصر كرامات أهل الفيض ...

«والتّفس كالطّفّل إن تهمله شَبَّ على  
حبّ الرّضاع (...)» 1

لله در هذه الكلمات ...!

( لعلّ رحمة ربّي حين يقسمها تأتي على قدر  
العصيان في القسم ) 2

تدور الأفلاك ... تساقط الحروف أصدافا أصدافا .  
الشّعور سحر أخلي ؟ ... أم للكلمات سرّ السرّ ، والسحر  
مفتاح البدء .

هَبْ أَنْكْ وقفت على دقيقة أولى ؟ ... ذاك جزاء من ربك  
عماء ... إرحم نفسك . خذ يا ناجي قطعة السكر .

هامش:

الآيات 1 و 2 للبصيري رحمه الله .





## خريف الرمل

حيدر مودة

- العراق -

الثَّوَرَس المَركُومَة بِرائِحة الحَرب ، تَهَمِس بِالرَّيح الهَادِرة فَوْق أَسْمال المِيناء الجَنُوبِي ، مودِعة آخِر الوجُوه الَّتِي رَكِبَت قَطَار الجَنُوب الصَّاعِد نحو السَّمَاء ، وَأَصْدَاء نَحِيب الأَجْساد الرَّمادِيَّة تَقْلُق النَّائِمِينَ فِي مِلاجِي المستَشْفِيَّات الخَاكِية . بَيْنما الأَطْراف المَبْتُورَة ، تَرَكُض فَوْق رُفُوف الغُروب ، يَنْزُ مِنْهَا الدَّم ، وَيَسْقُط فَوْق الأمْوَاج المَثْقَلَة بالخُود ... حينَها كَانَت البُيُوت المَتَلَصِّقة مَع بَعْضِها ، تَمُدُّ أَعْنَاقَها بِحِذرٍ نحو الطَّرِيقِ المُؤدِّيَةِ إلى سَاحات المَوت ، كَما تَمارِس حِرْفة التَّذْكَر والنَّحِيب السَّريِّ ، وَتَلْتَقِط صَريِر الأَرصِفة المَهْجُورَة فِي ذَاكِرَة البَحر ، وَهُوَ يَتَلَاشِي فِي آخِر الأَفَق ... كَأن وَقَعَ حَوافِر خِيول جَنُوبِيَّة ، شَهِلاء بِقَبْلِ أَرصِفة المِيناء ، مِثْل جُروح لَا تَندَمِل ، هَارِيَة مِنَ المَوجاتِ الخَاكِية ...

قالَ لَها فِي آخِر مَرَّةٍ رَأى بِحَر الجَنُوب المَمْتَدُّ لِرَأْسِهِ :  
- إِنْ رَأْسِي لَا يَصِلُح لِلخُودَة ...

وَتَبَدَّدَت كَلِمَاتُها مَع صَوْتِ صافرةِ القَطَار ، وَهُوَ يَلاحِق الرَّيحَ بِسَريعَة إِطلاقةٍ أُولَى . كَأن كَلَّ شَئٍ يَعلَن عَن سَماءٍ لَا يَتَمَع لَها أَيُّ رَأْسٍ مِنَ تَلك الَّتِي رَكِبَت قِوارِب نِجاةٍ مَثقُوبَة ... مِئذ ذَلك اليَوم ، صَارَ يَقْضِي الأَيَّام السَّبْع الَّتِي يَخْتَلِسُها مِنَ ذَاكِرَة الحَرب ، قَابِعا فِي غُرْفَتِها المَرْتَقَة بِقِطْع الصَّفِيح الرِّخِيصَة ، وَأَجْزاء الصَّنَادِيق الخَشَبِيَّة ، يَطالِع - أومِينو - مِنَ نافذَتِها وَهي تَجلِس عَلى الرِّصِيفِ أَمام البَحر . كَأن يَدرك تَماما أَنَّها تَنتَظِرُها الآن ، لَكنَّهُ يَشرع بِالبَلادة كَلَمًا عادَ مِنَ هَناكَ ...

بَينما هِيَ تَظَلُّ جالِسةً ، مَتَكُورَة عَلى نَفْسِها ، تَتأمَلُ البَحرَ الَّذِي جاءَ بِها إلى هَنا ، عَندما حَمَلُها ذَات يَوم ، قارِبَ صَغير ، تَكوُم فِيهِ حِصانٍ مَنخُوب الجِسد تَماما ، قادِما مِنَ مَدَن الرَّمَلِ الأَحْمَر مِنَ أَقصى الجَنُوب ... وَقَنتَها كَأنَ الغُروب يَبتَلِعُ المِيناء ، وَأومِينو تَرتَمِش بِفِرْعٍ شَديد ... حوَك نَظراتِها الواهِنَة نحو أَمْصَس زَهرَة ( الصَّباح ) الحَمراء بِجانِب النَّافِذة ، وَهي تَلْتَفُّ عَلى وَجهِ أومِينو - الشَّاحِب فِي انتِظارِ صَباحٍ جَديد لَتَنزَلِقَ فَوْق أَرصِيةِ الغُرْفَة ، تارِكَة مَكانَها لِزَهرَة أُخْرى ... لَم يَستطِع أَن يَحدِثَها عَن

الحياة هناك ؟

وظلّ صامتا أمامها لساعة كاملة دون أن ينبس بكلمة بيثت شفة . حينها قالت له بحزن كبير .  
- لماذا لم تخبرني أنك هنا قبل سنة أيّام ... ؟

...

وتتم لها قبل أن يسحب حقيبته ويعدو مرة أخرى

- إلى متى تظلمن ترقبين هذا البحر . وهذا الميناء الميت ....

أشعلت المصباح الزيتي المعلق في سقف الغرفة المحصورة بين أكاداس البيوت على جانبي الميناء... تطلعت بشرود إلى أشياء غرقتها التي وهبها لها ذلك الجنوبي العجوز . عندما قال لها بحيرة كبيرة :

- إنّ عتبة الصنّيح هذه ، لا تناسبني ...

ومن يومها ترك لها كل شيء . هذا فراشه اللين الذي حمله معه في مسكنه الجديد ، متخذاً اياه فوق حطام سفينه اختارها صومعة لهؤلاء الجنوبيين الثملين ، وهم يغثون حتى الصباح بعتجرات مهترئة ... تطلعت إلى جسدها الطليبي الغض ، تحسست تقاسيمه ، وبدأت تسرح شعرها الأحمر كتلك المدن التي جاءت منها ... ظلت شاردة ، تسبح في قضايا مضنية ، تحاول تذكر مدينتها ، لون جنوى . لم تستطع تذكر شيئاً غير خيلوها الجنوبية الشهلاء ، وهي تركض بفرح غريزي في الحقول الواسعة . بينما كانت تلك الأجساد العارية ، تركض خلفها في الأفق العريض .. ارتدت ملابسها السوداء وانكفأت على وجهها تبكي ، وتبكي حتى هذا المساء ... تركت لماسيقها العنان ، لتلمس غلاف البحر الرقيق . بينما ظل هو صامتا ، يحدق في الغروب ، لاحتلتها همست له بنفس ذلك الشرود الذي لاؤها بلوال فترة مجيئها :  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>  
- هل ستعود مرة أخرى ... ؟

صمتت بعدها لفترة طويلة . ولما يزل هو يتأمل انكسار آخر خيوط الشمس على جسد الميناء الهزيل ، تاركة الرؤوس الصغيرة تستغيث بالخوذ المتلاشية عند الأفق الخاكي .. سمحت مساقها بعدما أحست بالبرودة تستري في أطرافها ، عندما تحرك عدة خطوات عن الرصيف ليتوقف أخيراً . نهضت وتقدمت منه تماما وقالت له بقوة :

- ستعود مرة أخرى .. ؟ !

وقبل أن ينحرف بإتجاه منزله الواقع خلف الميناء تماما ، ليرتكها تصارع الهواجس التي تبثها أجهزة الليل البقطة داخل رأسها الشجي .. صرخت بانفعال شديد :  
- متى ستحدثني من العرب ... ؟

أحدثت كلماتها صدى عاليا بين جوانب الميناء المغطى بالسكون المريب ... كانت المسافة لساحات الموت المعرمة وهي تمتد الى نهاية ذاكرة السماء المرقطة ، طويلة جدا على مساحة رأسه المختبئ خلف اكياس الرمل . وقبل أن ينتهي من حرفة التذكر التي ورثتها ذاكرته من ذلك الجنوب

أمام اكياس الرمل التي تغلق موضعه الموحش . هبط فيه وتقدم من الناظر العسكري ، والصق وجهه المتهدل بفتحتيه .. هاهنا عروض المدافع الثقيلة واستعراض القنابل المختلفة الحجم ومهاراتها التحطيمية ، والسماء التي تفتح نوافذها المظرة على الرؤوس القلقة الممتدة الى تخوم الأفق وأومينو تركض بفزع رهيب على طوله ، فارعة الشعر ، بوجه الريح التي اشتدت عليها وهي تحاول الهروب ، لكن الاجساد العارية التي تطاردها في كل حين كانت تسرع خلفها ، والخيول تستقدم أومينو ، فزعة هي الأخرى بعد أن أزاحت الموضع تماما ، قذيفة طارئة ...

قاربت ساعات الفجر الأولى على اعلان يوم جديد حينما كانت نافذتها ترسل هواجس مختلفة تقطع بها ذاكرتها . وثمة شيء ما يتكسر داخل صدرها ، في تلك اللحظة فكرت بمقبرة الجنوب الواسعة واحسّت برغبة غريبة تلح عليها ، كان الوقت مناسباً تماماً ، ولم تكن المقبرة تبعد أكثر من ساعة سيرا على الأقدام . ويعد أن هيأت اعواد البخور وأغصان الياس ، وانباء ( الحناء ) وصلت الى هناك ، وقتها كانت تضع بالنسوة وهن يضربن صدورهن بأيد خشنة ، ويعقرن شعرهن الأبيض بالتراب ، وأصواتهن تمزق بكارة السماء بعد أن مزقت بكارة انوثتهن ثياب سود .. لم تقصد قبراً محدداً . فقط أرادت أن تكون وحيدة لتبكي حتى تخرقواها تماماً . لكنها وجعت بتمائمها مساءً ، وجلست على الرصيف ، ثم أخرجت اعواد البخور وأغصان الياس وألقتها في البحر ، فزاحت تزعج متباعدة عنها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لست أصابعها في الحناء وبدأت تلتخ ، وتلتخ .. وتلتخ .... تناثرت الجثث على الأرض المحظورة ، وتعالى نسيج الأفواه المستغيثة بقلوب مشدوة .. سقت أومينو وخيولها الشهباء . وحدها الاجساد العارية تتراقص في الأفق العريض ، وقد تحول إلى لون قاتم سخيف ... في تلك اللحظة حاول أن ينهض من تحت كومة التراب ، كان جسده ينزف بشدة ، تحسس المكان بعينين متورمتين ، وبدأ يتحرك بصعوبة وألم فضيعين .. تنفس وهو يشعر برائحة البارود تسلكه .. نظر إلى شبح الميناء أمامه ، وسار بجهد مميت ، تلاحقه أصوات الانفجارات . وصراخ الأفواه يزرع في ذاكرته حقداً عظيماً ..

لم يكن يقلقه شيء سوى أومينو وهذا الألم الكبير . دارت الأشياء به ، الصور القديمة ، تلال الجثث المتسخة ، القطارات الليلية ، الاجساد الباردة ، رائحة المستشفيات ، دموع الغرف المظلمة ، التماثيل التي اهدلت الصدور الفضة ، الترميل الجنوبي ، اعياد الرب المحرمة بعاشوراء ابدى ، القطع

السود التي تترك الجدران ... الـ ... الـ ..... ولكن لا بأس الآن ، لقد رحلت أخيرا !! لقد انتهى كل شيء !! سنرحل الآن قبل أن يستيقظ البحر ...

ظلّ يجرّ بجسده من فوق الدروب الممسوخة ، وهو يشعر بالصور المكسرة فوق رفوف السنون البكر تخلف عينيه .. تذكر ذلك عندما ما ارتدى بدلته هذه ، وركب أول قطار يحمله للساحات تلك ...

ادارت وجهها نحو البيوت المحتمية بجثة الميناء . رأت طوابيرا بشرية تسير مخلقة وراها البيوت ، وقد حملوا امتعتهم على الحميمير ورحلوا الآن .. والريح تلعغ الابواب والشبابيك محدثة ذلك الصرير الحزين ، الموحش . حتى ابتلعها قم الشمس الغارية ...

لم يكن الغروب مخيفا هذه المرة وأخذ كل شيء يدور في رأسها ، وهي تسمع النداء المتكسر من بعيد .

- أومينوا ... أومينوا ... او ... مي ... نو .

انتفضت فزعة من مكانها : (( نعم هذا صوته !!؟

همست في داخلها بذلك وهي تجول ببصرها نحو الطريق ، حتى ارتسم امامها رافعا لها يده . لحظتها اغرقت عينها وركضت اليه ، فطوقها بيد واحدة بعد أن سقطا على الأرض .. نهض بالأم وغضب شديدين بعدما احس يده ينفذ مرة أخرى .... اسكها من يدها وقال لها بحزم :

- سنرحل الآن .. !!

شعرت بصنقعة كبيرة حين رآته بيد واحدة ، وقد تعلق اليد الأخرى بالجلد فقط .

اشار لها أن تتركب في القارب المربوط بعمود الرصيف الخشبي ، وعندما ركبت فيه ، ترك طرف الحبل يغوص في المياه ، حينما بدأت الريح تداعب سطحه . صرخت عليه وهي تحاول أن لا تترك القارب يبتعد أكثر عنه :

- ماذا جرى ؟ لماذا تتركني لوحدي في البحر ؟ !

- أنه البحر يا أومينو ....

عندئذ سقط في مكانه ، بينما كان قاربها يبتعد شيئا ، فشيئا وهي تصرخ عليه ، لكنها لم تكن تسمع غير الصدى يملأ الميناء ، حتى خارت قواها وسقطت هي الأخرى في القارب بعد أن هدا كل شيء في رأسها . حتى بدأت تبتعد ، ويتلاشى امامها شبح الميناء تماما ، بينما كانت قطرات الدم القاني المتساقطة من جسده ، تختفي في البحر العريض بعد أن ملأت اصدااء كلماته السماء برنين عظيم ... انه .. الـ ..

الـ .. بحر .. يا ..أ..و .. مينو ..... ؟

## « الشتاء لا يبقى إلى الأبد »

بقلم : المنجي الحميداني

وانقضى اليوم الأخير من العمر في احتشام ، وتحرجت الأيام في خجل وتنافست الليالي على المضي سريعا في طي النسيان ، وودت القرية محتجبة داخل جلبابها الأسود كامرأة استثقلت مرور الأربعين ... وزادت الرياح العازفة منذ زمن ضارب في الأعماق ، من حيرتها وضاعفت من عزفها المموج فعميت بالتراب ونثرته بكميات هائلة على الحيطان وغطت آثار أقدام العابثين ليلا بين المسارب لتهدئة سواكن النفوس الثائرة ... دنت من الخالة حبيبة كأنما تخاللتها ، وجلة كأنما تسري المياه الباردة تحتها ... قالت حليلة وهي تختلس لحظات من الزمن الهارب :

– أيمكننا أن نقهر الحاضر ونمضي إلى مستقبل أكثر إشاعة ؟ أيمكننا بسهولة أن نقهر عقارب الساعة ونفرّ بالفريسة من فم ملتهمها ؟ قلبي أيتها الخالة ولا تخبئي عني شيئا ، لقد عرفت الزمن منذ أيام صباي جبّارا وقاسيا ، لا يلين بسهولة ... أيمكن أن تنظلي أتحيلنا عليه فتطوي عنقه وتلين تجاهنا فتهرب من خيوط العنكبوت ؟

تلاحق الصمت متناغما يبحث عن أصداؤه بين الجدران ، وأظهرت الخالة حبيبة عدم اهتمامها بما يتلظى في الأعماق منهمكة في الغزل الذي انطلق منذ الصبح الباكر ... واصلت يداها الاهتزاز نفسه في رقصات عابثة ، وحافظت على عبثها بالخيوط الصوفية التي تتلظى مثلثة وسرعان ما تنفثع عنها البطانة ، فتخرج على حقيقتها الأولى ، عارية كما البداية ... كانت تمرر الخيوط برفق وخفة على المغزل ، خشية الانقطاع ، وترمي بها مسترسلة على جانبيها الأيمن ، فتتكوم " إنما " فوق بعضها البعض متنافسة على ركة حليلة التي هاجمتها كومة الخيطان فثقلت عن الحركة ... وحلت لها اللعبة فانهمكت في تشبيكها منذ أنفاس الصباح الأولى ، وودت فوهة الزمن مترامية في أرجاء الغرفة ، مترنحة سكرى تحصد الرؤوس بلا حساب ... قالت الخالة حبيبة وهي لا تكاد تهرز رأسها كأنما تقل عليها :

— لقد كبر رأس ذلك القطّ العنيد ... تصوّري لقد أتى على عشاء المختار ليلة البارحة ولم يترك منه شيئاً ... والحمد لله الذي ستر ، فقد قضى الليلة خارج البيت ...

وسكتت فجأة عن الكلام ، تراجع كلامها وصدمتها الأسئلة لماذا قضى المختار الليلة في الخارج وأين قضّاها ؟

وقضت حليلة بعض الوقت في تخفيف الحمل عنها وإقناعها بأنّ للرّجل مشاغل عديدة ، فمن يدري ما الذي جرى له ، أنّها أشغال وكفى ... وكلّ الرّجال تظنّهم الطّروف لمثل هذه الغيابات ... ورغم اقتناعها بكلّ هذه التبريرات المقدّمة ، فقد أثّرت بنفسها الرّجوع لموضوع لازمها منذ سنين. حكّت عنه فقالت : « لقد فاجأني أطبخ في غرفة قليلاً ما تلجأ أشعة الشمس وقبع بعيداً عنّي يراقب حركاتي ... كان ضعیفاً نحيفاً لا يقوى على المسير حتّى أنّني بحثت له عن قطعة خبز تهزّ ضلوعه الملتوية فتبعث الدفء في أوصاله ودأب على المجيء وحافظ في البداية على نقاء السّريّة ، أمينا لا يمدّ يده لطعامنا إلّا بعد إذنّي ... ولما اشتدّ عوده وانتفخ بطنه واستوى ، أصبح يستولي على كلّ ما تقع عليه يديه فبات يكسر الأواني ويطيح بالأطبقة ويلتهم الأطعمة ، إلّا أنّ أعظمها سرّاً ناحية رأسه التي تنطخعت أكثر من حدّها ، فباتت وشوّهت جسمه ... ولاحظت نظراته الغريبة نحوي وتتأسّى يدي المفتحة نحوه تطعمه ولا تطلب جزاء ولا شكوراً ... وأصبح بعد مضي الأشهر الأولى يختفي أثناء النهار حتّى يكاد يذهب إلى ظنّي أنّه رحل بلا رجعة ، إلّا أنّه خير السّريّان ليلاً تحت جناح الظلام مثل اللّصوص والمجرمين فصرت محترسة منه لا خوفاً على الأطعمة ولكن محافظة على نفسي في مواجهة قطّ شرّس قد يفتنم فرصة وجودي لوحدي داخل هذا المنزل القسيح فيزهق روحي وأنا مثقلة بهومي ...

وتزحف الأيام وينساب الصقيع عبر كلّ المنافذ فأحسّ بالمياه الباردة تسري بين أرجلي وأبقى في إنتظار المطر الهادر منذ انقضاء فصل الرّبيع ، أشيع نظري بين قطراته المتناثرة على وجوه الأمالي فيغمرنّي الإحساس بأنّ الحياة مستمرة وأنّ تبعها الأوّل انطلق من هذه القرية المقصية ... وعندما يحتجب ضوء القمر ، أطلّ من الكوة أنتظر إطلالته من وراء الحجب ، فهو مرآتي في ظلمة اللّيل الدّاجنة ، وغالباً ما تصطدم قدامي به ، فيندفع لامثاً عبر فتحة الباب كالقدر المحترم بعد أن يلتهم كلّ ما يراه ، ورغم

إشفاقي على مأساته لأنني أدركت الجوع في فترة ما وعرفت (بالكاد) ما يفعله بالمرء فهو يفقد أنفه ويأتيك زاحفاً على بطنه ، أمّا الحيوان فليس لديه من وسيلة سوى الزحف نحو الزاد لا يعني له الموت الكثير ... وأبقى مستغربة في كثير من الأوقات من حالي ، فقد أقضي لحظات أجدني موزعة بين الإحسان والشفقة وأغضب من الاختلاس الذي يقع بعدي ... فيشدّ غضبي وأقضي الليل جالسة قرب الباب ، أنتظر مجيئه ولكنه بعد أن يظن لفعله ذاك ، يختفي عن الأنظار ، كما أسلفت ، ولا يبقى وراءه أثراً ... وها أنني قرّرت منذ وقت بعيد ،

– وكلّ من زار بيتي يعلم بذلك – أن أنصب له شباكا ، فانا الآن خيّرت طريق الانتقام في هذا الزمّن الذي غابت فيه مروءة الكثيرين منّا ... فماذا ترى غيري يفعل لو كان في مكاني ؟ ... >>

وتعمادي في الغزل بتفان وهي تترنّم بمقاطع متنوّعة من أغان حزينة ، تلاصت مع عزف الرياح الذي كان يدنو من البيت بين الحين والآخر ، كمن يقوم بواجب الزيارة ، يؤدّيها ، يطمئن على الأحوال ويمضي ... وتعاضدت الأغاني متناوبة مع الرياح المتسرّبة من الشمال طوال المساء...أطلق النهار صرخاته الأخيرة ، فتشابتك مع نوافذ الشبكة التي أتمتها الخالة حبيبة بأصابعها النحيفة واستعانت مع ضيقها لتصبها قرب عتبة الباب بعد أن حلت ساعات الظلام الأولى ... ربطت جوانبها بإحكام وتفقّدت صلابتها أكثر من مرّة ... وقضت الليل تتقلب في فراشها ، تتلظى على نيران هادئة يشدّد عليها الخناق من كلّ جانب ، بعد أن خدمت أنفاس حليلة وسكنت بجانبها جئة مكوّمة من اللحم الذي لا حراك به ، فلم تجد من يفكّ معها طلائع مجموعة من الأسئلة الصعبة ترهقها فلا تدري لها قرارا ... تتمتعت وتحدّثت مع نفسها ، واهتزّت وتكوّرت داخل الفراش وضربت بقبضتها على وجوه بعض الأشباح ، وسافرت مع صور شديدة مهترّة ، استطاعت النفاذ إلى أعماقها من الماضي البعيد ، تزامنت بين تفاصيلها العين والحانوت . وأنف يعقوب ويرنس الشيخ حسين ... وتمردت جئة مراد على الذاكرة النائمة فاحتارت مجاديفها ولم تدلّ الطريق ، وأرست عنوة قرب جئة العاشقين معلّقين عناقيد عنب لم تتضج بما فيه الكفاية ، وتمادت في الرّحيل فاثّارت الزيد على جوانبها وأرخت العنان لاختفاء مصطفى المفاجيء وخليفة المعتكف مع سباع الجبال وجبهة المختار واستغاثة عزيزة يوم المخاض المطر ...

وسيطرت في النهاية على ذاكرتها ملامح متلاشية ، فبدت الجثة مبتورة  
مرماة داخل خيوط من العنكبوت ، سمكة ومتينة وهي مستكنة لا حراك بها  
، تنطلق منها أنات متواترة وصرخات مكبوتة تؤرّع الحبّ الضائع والزمن  
المنحرف ناحية الشمال ... شمال البرد والصقيع والأفخاذ العارية ... وظلّت  
الصُور تتناوب على مخيلتها حتّ الصّباح الباكر ...

نهضت حليلة تستبِق نجوم الفجر ، فلاحَت لها المنطقة عروسا يغشي  
وجهاها حجل خفيف ... كان الظلام لا يزال يحيط ببعض المساكن والندى  
الصّباحي المتسرّب من كلّ مكان يحجب الرؤية ويطلق العنان للأحلام  
السّجينة ... حينما تجاوزت عتبة الفرفة لفّها الندى الصّباحي ببرده اللّذيذ  
فأرّضى العنان لبعض الأحلام لتعلم بقية النّعاس التي أبت أن تغارقتها ، ولم  
تستفق إلاّ عند ارتطامها بكومة من لحم قرب عتبة الباب الخارجي ، أثّرت  
في أعماقها أتعاب بداية الخلق ، فارتبكت وأطلقت عقيرتها بصياح لم يسمعه  
أحد فسرّى في الأرض يبحث عن أصدائه الضّائعة.. وانهارت شجاعتهما  
التي لازمتها لسنوات طوال ، وهي تسترجع حكاية القطّ الذي تضخّم رأسه  
أكثر من المعتاد ، ذاك الذي سعى لسرقة القوت أيام الغفلة والإنكسار ...  
وخامرها الشكّ وأرجلها متشابكة بين الخيوط ، فاندركت أنّ الجسم الذي  
ارتطمت به في هذا الصّباح ، لا يمكن أن يكون لقطّ مهما كانت ضخامة  
جثته ، وبدا لها أنّ القدر أو الزمن رمى القرية بجسم غريب وقع خطأ في  
خيوط الشبّاك المنتصبة على العتبة طوال اللّيل ، وذلك قبل أن يطلق عقاله  
فيقبض على روحيهما وسط الظلمة الحالكة ... خلّصت أرجلها من الخيوط  
المتشابكة وأطلّت خارج المنزل فلفحتها الرّياح الباردة ، عندها خيّرت  
الرّجوع لدفع الفراش في انتظار أن تطلق الشّمس أنوارها فينتهي الظلام  
ضياء منيرا ...





## مطاردة الرجال

نص : فليكس لوكالار

تعريب : عثمان الجلاصي الشريف

لقد جاء في نهاية الأسبوع .. عند المساء ودون سابق إعلام ... وصل على متن قطار الساعة السادسة ... نزل بالقرية وبسرعة سجل نفسه للإقامة بنزل المكان .. إنه قصير بدين ، أقطع وقبيح الخلقة . هذا الرجل له عينان بإمكانهما أن تريا حتى في الظلام الدامس .

كركرلاد : غرفة من فضلك

صاحب النزل : لهذه الليلة فقط ؟

كركرلاد : لزمن غير محدد

صاحب النزل : أود معرفة مدة الحجز . نحن في نزل ... سيدي العزيز

كركرلاد : حقاً ؟ هذه بطاقتي

صاحب النزل : أه ! أه ... ألف معذرة ... امض هنا أرجوك . أنا آسف ، سامحتني أيها العامل ..

أيها العامل .. أحمل حقائب السيد الى فوق ... سأصطحبك بنفسي الى الغرفة . اتبعني

كركرلاد : سأصعد وحدي ... لا تعطل نفسك

صاحب النزل : على راحتك . كما تشاء . أنت في محلك . إذا إحتجت لشيء ما . إضبط على

الجرس ... الجرس ... أه ! كم أنا غبي !

ما إن انتفى مفعول المفاجأة ... حتى أطلق صاحب النزل إنذار الخطر ... في البداية بلغ

الخبر إلى معاونة ... الذي بدوره أبلغ زوجته التي أشعرت جارتها ... والجارة إتصلت بأصدقائها

عن طريق الهاتف . وهكذا في حين نصف ساعة من الزمن علم كل من في القرية أن المفتش

الخاص الشهير " كركرلاد " قد نزل بالقرية . صاحب الخمارة ، الجزار ، اللحام ، الخباز ...

الجميع ... أصابتهم حيرة فأخذوا يتساءلون عن هذا القوم متفادين الأماكن العمومية والمرايا

العاكسة .

... وفي الشارع

صاحب الخمارة : ماذا قال ؟

صاحب النزل : غرفة لزمن غير محدد ذلك كل ما قاله

صاحب الخمارة : بأي طريقة قال لك هذا ؟

صاحب النزل : بصوت خافت ، غريب وهو ينظر في أعماق روحي

صاحب الخمارة : في هدوء ؟

صاحب النزل : بالتأكيد

صاحب الخمارة : باللغة الفرنسية ؟

صاحب النزل : نعم

صاحب الخمارة : لأنه يتكلم خمس لغات

صاحب النزل : من البداية اعتقدت أنه مسافر عادي

صاحب الخمارة : مسافر بسيط " كركرلاد " الذي تستشير الشرطة البريطانية عن حالات كثيرة

صاحب النزل : كركرلاد ! رأيتك بأمر عيني . لقد كان واقفا هنا أمامي ويسببني كان باستطاعتي

أن ألمسه من كتفه . رائع !

صاحب الخمارة : هل تشتتم شيئا ما ؟

صاحب النزل : كيف اشتتم ؟

صاحب الخمارة : ما الذي جاء يفعله هنا ... في القرية .

صاحب النزل : أنا لست " سكوتلانديار " حسنا هاهو الجزار ... أيها الجزار تبدو كائنك سارق .

لم نستمع الى وقع خطواتك وأنت مقبل علينا

الجزار : وبعد هذا ؟

صاحب النزل : وماذا بعد ؟

الجزار : هل من أخبار أيها الفندققي ؟

صاحب النزل : لا أيها الجزار

الجزار : قص علينا ما تعرفه

صاحب النزل : لقد قال « غرفة لفترة زمنية غير محددة

الجزار : هذا فقط ؟

صاحب النزل : هذا فحسب

الجزار : ما الذي يريد ؟ أيها الخمار . هل تشك في شيء ما .

صاحب الخمارة : لا ليس أكثر منك ، أيها الجزار

الجزار : كركرلاد ! الإيطاليون الخمسة الذين كانوا يسطون على البنوك منذ عشر سنوات تمكن

من ألا يوقع بهم في " منتريال " ويمغرده .

صاحب الخمارة : هل تتذكر هذه العملية . وهل تعرف أنه في السنة الفارطة أوصل المرأة ذات

اللباس الوردي الى الكرسي الكهربائي

صاحب النزل : إنها زيارة كبرى ؟ في الفترة الأخيرة كان خارج البلاد وهاهو يصل من

أوروبا ... ربما جاء هنا ليرتاح

صاحب الخمارة : أنت بريء !

الجزار : مجنون !

صاحب النزل : ماذا ... ؟

صاحب الخمارة : وكأني بهؤلاء الرجال يرتاحون ... إنه يقتني أثر أحد ما .

الجزار : وللتأكيد على أنه يقتني أثر أحد ما ... أقول إن هؤلاء الرجال يتتبعون دائما أحدا ما .

صاحب النزل : هل أصابك هلع ؟

الجزّار : ليس أكثر منك أيّها الفندقى ... ستحدث أشياء .

صاحب الخمارة : هل لديك شكوك حول شخص ما ؟

الجزّار : لا أيّها الخمار وأنت ؟

صاحب الخمارة : ربّما

صاحب النّزل : سكوت ... هاهو قادم ... إذن أيّها الجزّار ... هل أنّ تجارتك بخير ؟

الجزّار : نعم . لا بأس

صاحب النّزل : هل أنت فرح

الجزّار : أنا راض

صاحب النّزل : رأيته وهو مارّ .

صاحب الخمارة : " كركرلاد ! يا له من رجل

الجزّار : وهو أقطع ؟ هذا ما لا أعرفه

صاحب الخمارة : لننتبه

الجزّار : ها هم يوقفونه . إنّه صاحب نشرية " الورقة الثّرائية " هو الذي يجري معه حوارا .  
لنقترب

النّاشر : سيّد " كركرلاد " . أيّها المايسترو العزيز يا له من شرف ينال قريتنا بزيارتك هذه ! أنا  
ناشر الجريدة اليومية بوادينا . اسمح لي أن أقول لك إنّ كلّ المواطنين محتارون ونحن كما ترانا  
بين الأعجاب بالنّفس والإنفعال وأقول حتّى الإضطراب ... السيّد شيخ قريتنا .. هل التقيت بشيخ  
قريتنا ؟ هل بإمكانك معرفة شيء ما ؟ ما من شك أنّك في فترة راحة ؟ ألم تكن في روسيا خلال  
الشّهر الفارط .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كركرلاد : فعلا

النّاشر : هل أنت في فترة راحة عندنا ؟ أم أنّك تتبّع خطّا موصلا ...؟

كركرلاد : أبحث عن شخص ما !

النّاشر : عفوا

كركرلاد : أبحث عن شخص ما .

النّاشر : هنا ؟

كركرلاد : هنا .

النّاشر : من قد يختفي في القرية ؟

كركرلاد : ربّما

النّاشر : هنا ؟

كركرلاد : هنا .

النّاشر : إمراة أم رجل ؟

كركرلاد : ربّما يكون رجلا ... وربّما تكون إمراة .

النّاشر : هل بالإمكان معرفة أكثر من هذا بالنّسبة " لورقتي الثّرائية " يا لها من فرصة رائعة أن

تتوسّع في الحديث ! تخيل أن آخر مقر في قريتنا يعود الى ستّ سنوات حيث أزيح النّقاب عن تمثال صغير بحديقة المدرسة الثانوية . قرية هادئة أليس كذلك ؟ ما رأيك ؟

كركرلاد : ليس لديّ ما أصرّح به

صاحب الخمارة : معذرة سيدي المفتش ... سيّد " كركرلاد " هل بالإمكان أن أطرح عليك سؤالاً كركرلاد : إذا أمكن أيّها الخمار

صاحب الخمارة : كيف عرفت أنّي الخمار

كركرلاد : قبّعتك تحمل العلامة المميّزة التي أراها على لافتة خمارتك

صاحب الخمارة هذا صحيح

كركرلاد : إذن ؟

صاحب الخمارة : هاه ... طريق موصل ؟

كركرلاد : لماذا تقول لي هذا .

صاحب الخمارة : هل أنت

كركرلاد : نعم

صاحب الخمارة : كأننا نبدو لك فضولين مثل أطفال أيّها السيّد " كركرلاد " لكن ...

كركرلاد : الشخص الذي أبحث عنه خطير ، شرير ، ضارّ يصلح للموت

صاحب الخمارة : وهو يختفي هنا في القرية ؟

كركرلاد : ربّما أيّها الخمار

صاحب الخمارة : حسناً ، إذا كان بالإمكان مساعدتك ، فنحن المواطنين لا نطلب شيئاً أفضل من مدّ يد المساعدة إلى العدالة

كركرلاد : هذا كلّ من أجل مصلحتكم . أليس كذلك ؟

صاحب الخمارة : أعتقد هذا ... أعتقد هذا .

الجزّار : أنا أيضاً لديّ كلمة أريد أن أقولها لك يا سيّد " كركرلاد " ... أنا جزّار القرية ... أقول لك ... إنّ شارع التّجارة الصّغرى في خدمتك سيدي

كركرلاد : إذن ... الجزّار هو أنت ؟

الجزّار : أنا ... نعم ... نعم أنا ... ألدّيك ما تقوله لي ؟

كركرلاد : لم أقل هذا . في الوقت الحاضر شيء ثانّ يشغلني ... هل أنّ النّهر في هذا الإتّجاه ؟ النّاشر : أي نعم ! مباشرة أمامك ... أمامك في خطّ مستقيم يا " مايسترو "

الجزّار : سؤال غريب

النّاشر : شخص خارق للعادة ! غداً أخذ له صورة شمسية كم أنت شاحب أيّها الجزّار

الجزّار : أنا لماذا يصفرّ وجهي ؟

النّاشر : ربما بك ألم ما ... هذه الزيارة قلبت دماءنا . يا أصدقائي أنا أقول لكم إنّّه جاء لينظّف القرية

الجزّار : هل تعتقد أنّنا بحاجة لعملية تنظيف

الناشر : أنت ماهو رأيك ؟ أنا أقضيّ الليل في البحث بين أرشيف هذا المكان منذ انشاء القرية ...  
بل منذ أول عملية قيس لأول نهج ... آه لكن أفكر في هذا !

صاحب الخماره : ماذا ؟

الناشر : لكن قدومه ربما يكون من أجل مسألة اللحم المتريص الذي انتحر منذ سبع سنوات

الجزار : « بارويوت » ؟

الناشر : نعم « بارويوت » ربما يكون قد وضع تسميته ؟

صاحب الخماره : مجنون ! لقد قاموا بعملية التشريح بحضوري .. كنت سائق عربة في ذلك الوقت

قضية السم كانت كذبة

الناشر : هل تعتقد ؟

صاحب الخماره : أيها الجزار ، هيّا بنا ! هذه قضية دفنت منذ سنوات عديدة ... هلأ أتيت ؟

الجزار : هيّا لنذهب

الناشر : الجميع يراوون والحال أننا نحس بالأمن في هذه القرية بحضور مثل هذا الرجل

\* \* \*

كركرلاد : أنت أيضا ، وفي مثل هذه الساعة أيها الملازم ؟

القبطان : عفوا . قبطان ... الأمور تسير على مايرام ، العون الذي يعمل مع الصيدلي . الشاب

« قريون » اختفى هذه الليلة

كركرلاد : وماذا بعد هذا ؟ من طلب منك أخبارا ؟

القبطان : هرب في قطار الساعة الثانية ليلا .. الأمور على ما يرام أعطيت الأوامر لأحد وجالتي

للقبض عليه ... كيف ؟ هذا الأمر لا يحركك ؟ حقا أنت معتاد . انّ أنتظر الأوامر

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كركرلاد : أوامر !

القبطان : ربما يكون اشتم رائحة البوليس هذا الشقي

كركرلاد : ليس لدي أمر أوجهه لك

القبطان : رجل يفرّ هو رجل مذنب ؟ أليس كذلك ؟

كركرلاد : لكن عمّا تتحدّث يا صديقي ؟

القبطان : لنقل إنّ الأمور غير ناضجة .. لكنني سأعرد . سترى

\* \* \*

كركرلاد : ما الأمر يا صاحب الخماره ، تبدو لي في حيرة . هل ثمة أشياء تقلقك

صاحب الخماره : نعم هل نحن وحدنا هنا

كركرلاد : تكلم

صاحب الخماره : شكرا . هل بالإمكان أن أعلّق معطفي هنا ؟ شكرا . أنا هو المذنب

كركرلاد : هل تريد سيجارة ؟

صاحب الخماره : الرجل الذي تفكّش عنه هو أنا

كركرلاد : هل تريد كبريتا ؟

صاحب الخمار : أنا هو أقولها لك لم أعد أتحمّل لقد رأيت كوابيسا كامل الليل . أخي قال لي  
« إذهب وسلّم نفسك لذا ها قد جئت ... أنا هو ... »

كركرلاد : تريد منظفة سجاثر

صاحب الخمار : شكرا ... أشعر الآن بارتياح ... ساقص عليك الحكاية من البداية إلى النهاية  
. ليس بإمكاننا مواصلة العيش والأغلال معلقة في أقدامنا سامرح لك بكل شيء . منذ خمس  
سنوات زرت وثائقا تهم الخمار حيث أنا الآن ...

كركرلاد : طيّب ! يا صديقي ... ولم يشك في أمرك البتة ؟

صاحب الخمار : أبدا .. ما من أحد . المسألة كانت على غاية من السرية ويعنّئ عن كل  
الأنظار . حيث لا مجال للشك أو الريبة . عندما يمر أعوان الرقابة أخرج الأمور التي حدثت  
عنها ... يشربونها متلما يلتهمون قطعة خبز لكن أنت ، أنت وصلت إلى هنا منذ أسبوع وقلت  
« أنا أبحت عن رجل » دون أن تزج أحدا بالتحقيق والاستجواب . تمر كل يوم أمام حانتي  
تلاحظني ... تشرب كأسا وأنت تتفحصني على مهلك ... قلت في نفسي هذا الأمر ليس مجانيا  
.. لقد قضى الأمر وأوقع بي ... انه جاء للبحث عني لقد قلت لك كل شيء يا سيدي ... الآن  
لتنهي الأمر ! ما الذي علي أن أفعله ؟ أنا مستعد

كركرلاد : سأرسل اعترافاتك إلى ضابط الشرطة

صاحب الخمار : ألا تأخذني ؟

كركرلاد : سيأخذك إلى منطقة الأمن حيث تعيد إعتراقاتك

صاحب الخمار : وأنت هل ستبقى هنا ؟  
كركرلاد : أيها الخمار أشكرك على صراحتك ، أنت رجل شهم . لكن لست من أبحت عنه رجاء  
ألا تتدم على ما أقدمت عليه ، هيا إذهب ! الشخص الموالي

إمرأة : تفصّل . أقرأ . هذه هي الأوراق الأصلية ... شهادة الميلاد وبقية الوثائق جميعها معي .  
المرأة التي يوجد عندها الطفل الآن هي المدعية الأمومة .

أنا هي الأم الحقيقية للطفل . هكذا تنتهي قصتي .. وببساطة أقول لك إنني لم أعد أتحمّل عذاب  
التشرّد مثل مومس وبما أن حبيبي لن يعود على العدالة أن تفعل بي ما تريد ... ها أنا أعترف .  
كركرلاد : أنت أم الطفل ! وكيف تثبتين هذا ؟

إمرأة : الوثائق معي . إقرأها

كركرلاد : إقرأها لكن ما الفائدة ... إذهبي الى " منتريال " ... لا ... لا ... إلى مركز الولاية

إمرأة : متى تذهب ؟

كركرلاد : إذهبي هذا المساء

إمرأة : هلا أتيت معي

كركرلاد : أنا باق هنا

إمرأة : إذن لست أنا التي تبحث عنها ؟ صرّحت بكلّ هذه الإعتراقات دون جدوى

كركرلاد : لا نصرّح البتة بعيوننا دون جدوى . أتمنى لك حظا سهيدا سيدي .

كركرلاد : أنت مرة أخرى  
القبطان : مساعد الصيدلي عاد . العون الذي يعمل معي ألق عليه القبض إذا كنت تريد إستجوابه  
فهو موقوف على ذمة التحقيق وقد اعترف بعد بكل شيء .  
كركرلاد : حول أي موضوع  
القبطان : مسألة السرقة ... ألم تأت من أجل هذا إلى القرية ؟  
كركرلاد : اهتم به أنت  
القبطان : بمن ؟  
كركرلاد : هذا العون المساعد للصيدلي  
القبطان : لكن .. ماذا ... سرقة ! يعترف ! ولست فرحا  
كركرلاد : إن أردت ... لكن ليس هذا العون من أبحث عنه .  
القبطان : ليس هو !  
كركرلاد : أشكرك أيها القبطان . أرجو المعذرة ؟ لدي مراسلات أريد فتحها والإطلاع على  
فحواها

\* \* \*

البواب : سيدي  
كركرلاد : نعم ؟  
البواب : أنا بواب بالمحل الكائن " 18 نهج بيبي بو " لقد عثر على العون المكلف بحجز الغرف ميتا  
في بيته  
كركرلاد : هل هو انتحار ؟  
بواب : نعم سلاح ناري وجد بقرية وهذه ورقة كتب عليها آخر شهاداته  
كركرلاد : توجه الى مركز الولاية  
الناشر : أية افتتاحية ! مجهول ينتحر عوض أن يسلم نفسه الى البوليس ... إذا أيها السيد  
العزیز كل شيء قد انتهى ؟ بإمكانك أن تتباهى بزرع الفزع في طريقك . يا له من رجل مسكين !  
انتحار ! القرية تتطهر . لقد تنبأت بهذا ! متى سترحل سيدي الكريم ؟  
كركرلاد : لكنني لا أغادر  
الناشر : لا ؟  
كركرلاد : عملي لم يبدأ بعد ؟  
الناشر : هل استمعت جيدا .  
كركرلاد : لنقل نهارك طيبا أيها الناشر  
الناشر : عن أي شخص تبحث في النهاية ؟ من ؟ كل القرية تأتي اليك لتدلي باعترافاتها  
كركرلاد : وهذا هو ما يتعيني  
الناشر : ما الذي تريد أن تقوله  
كركرلاد : دعني ! أنا خارج

صاحب النزل : مساء الخير . سيد كركرلاد

كركرلاد : مساء الخير أيها الفندقى

صاحب النزل : هل تريد أن تخرج ؟

كركرلاد : نعم

صاحب النزل : سيّارتى أمام الباب إذا أردت المغاتيح

كركرلاد : لا

صاحب النزل : هل أنت مرتاح فى بلدنا ؟ هل تروق لك الخدمات ؟ إذا نقصك شيء ما لا تتحرّج

. وضعت عونا تحت تصرفك

كركرلاد : لم أطلب منك هذا ! وما أنا أرجع لك القوارير التى أمرت بوضعها فى غرعتى .

صاحب النزل : إعتقدت أنّى أخدمك فقط

كركرلاد : هلاً أعددت لى فاتورة الخدمات .

صاحب النزل : أه ! مع إضافة معالم الخدمات الفندقية ... هل يعقل ... ؟

كركرلاد : لا أحب أن أكون مدينا لأحد

صاحب النزل : طيب . أنا رهن أوامرك

\* \* \*

كركرلاد : صباح الخير

فتاة : أنا ؟

كركرلاد : نعم . أنت ... صباح الخير لك أنت هل تستمتعين بالمقادرة ؟

فتاة : أنا ؟ نعم إنها الساعة السادسة . لقد أنهيت شغلى .

كركرلاد : وأين ستذهبين <http://Archivebeta.Sakhril.com>

فتاة : الى المنزل .

كركرلاد : أه ! أيتها الجميلة ... لقد نسيت قفّازك

فتاة : شكرا

كركرلاد : لكن ما بك ؟ ألا تغادرين المكان ؟

فتاة : لا

كركرلاد : ما بك

فتاة : عليك بإيقافى . سأعترف لك بكل شيء

كركرلاد : ألا تتناولين العشاء . إنها الساعة السادسة

فتاة : لم أعد أتحمل

كركرلاد : وتبكين

فتاة : هذا هو ... مساء يوم 2 أبريل من السنة الفارطة

كركرلاد : لست أنت من أفتش عنه . اذهبي أيتها الصغيرة .

فتاة : ليست أنا ؟ ألم تات من أجل قضية المخدرات



كركرلاد : لا " شهية طيبة " اذهبي ...

هاهو قبطان الشرطة . يبدو وكأنه في خلاف مع الناشر لتسمع ملياً

القبطان : في الختام إنَّ ما أقدمه لك هو نصيحة

الناشر : دعني وشأني أيها القبطان ؟

القبطان : أنا ليست لدي براهين . إنما هو عنده براهين في جيوبه . رأيت إسمك على ورقة أيها

الناشر اذهب إذن واعترف أرجوك . إنه يفتش عنك . أقول لك بانك أنت الذي يفتش عنه .

الناشر : ما الذي تراني فعلته أنا ؟

القبطان : دين !

الناشر : دين ؟

القبطان : دين لك أو عليك ؟

الناشر : أيها القبطان ستجعلني أغضب

القبطان : إنها نصيحة أسديها لك أيها الناشر . إنه يعرف كل شيء وأنت تعلم ما الذي عليك أن

تقوم به ! أنا في مكانك أفر .

الناشر لكن كركرلاد كان هنا ؟ أراهن على أنه سمع كل شيء ... من الأفضل أن تنتهي من

الخوض في المسألة حالاً ...

مساء الخير أيها السيد الكريم

كركرلاد : حسنا أيها الناشر أراهن على أنه لديك أخبارا جديدة

الناشر : نعم أتيت بالصك وهو قابل للصرف من الفرع البنكي المنصوص عليه ... به مائتان من

الدولارات ... أترك لك لتعانيه وتتثبت من صحته ... ثم ترسله في ما بعد ... أنا مدين بهذا الصك

الى الإسم المذكور . عند بداياتي هنا كان لي صديق ولم أكن أدفع له أجره ... أنا مدين له بمائتي

دولار ... أتيت بدفاتري لتتثبت منها .

كركرلاد : أدقق

الناشر : أترك لك الصك

كركرلاد : سأضعه أنا بنفسه في البريد

الناشر : نعم أشعر بارتياح ! اذن هذه المرة انتهت كل شيء ؟

كركرلاد : أيها الناشر أشكرك على نزاھتك . يجب علينا تسديد ديوننا مهما كانت ضارية في

القدم

الناشر : أه .. كم أشعر بارتياح ! لم أعتقد البتة أنك جئت من أجلي إذن أيها السيد الكريم لا

فائدة من أن تكثر من الضجيج ... القضية تبقى بيني وبينك

كركرلاد : بيني وبينك أيها الناشر لكن لست أنت الرجل الذي أفتش عنه . اذهب ... أحسن أنني

بدأت أتلصص الطريق الموصلة أريد الإختلاء بنفسه ... أنا متأكد أنه لا يأتي الى هنا شمة صخب

كثير ... ربما يكون رجل الشارع قادرا على كشفه لي .

\* \* \*

الجزّار : إذن ... الإيطاليون الخمسة  
 كركرلاد : نعم وحدي . أيّها الجزّار . كنت وحدي  
 الجزّار : لكن كيف حصل ذلك  
 كركرلاد : هلاً رأيت يدي ؟ فتحتها فجاء الإيطاليون الخمسة ليأكلوا في كفيها ...  
 الجزار : ياكلون في كفيها .  
 كركرلاد : في كف يدي  
 الجزار : إذن ...  
 كركرلاد : بالضبط . أتأهب لفتح يدي فيظهر المذنب . قبعت بين أصابعه فيقول لي كلّ شي . مثل  
 طفل وهو منحني الظهر ... وربما يأتي في الغد ...  
 الجزر : وإذا لم يأت .  
 كركرلاد : ربما هذا المساء  
 الجزار : وإذا إرتحل ؟ أو غير البلد والاسم والتجارة  
 كركرلاد : وتجارته ؟  
 الجزار : أريد أن أقول .  
 كركرلاد : سيأتي . ربما بعد نصف ساعة  
 الجزار : توقفت عن الكلام لديّ شي . أريد أن أقوله  
 كركرلاد : ربما يكون على باب هذا المكتب  
 الجزار : لكن في النهاية الأرض واسعة  
 كركرلاد : ربما يكون داخل هذا المكتب  
 الجزار : اسمعني . سيّد كركرلاد  
 كركرلاد : لم أفتح يدي أيها الجزّار خذ متسعاً من الوقت لا شي . يجبرك على التسرّع  
 الجزّار : لم أعد أرى بوضوح أشعر وكأنّ أحدا يفيدني . اتركني !!!  
 كركرلاد : لا أحد يمسك ... أيها الجزار  
 الجزار : شي . موتر للأعصاب ... هل تفهم ؟ اعذرني  
 كركرلاد : ما من سبب  
 الجزار : سيدي  
 كركرلاد : نعم ؟  
 الجزار : عندما استرشدت عن الوجهة وأنت على حافة الماء كان باستطاعتك أن تنظر إلى أحد  
 غيري ؟  
 كركرلاد : هل نظرت إليك  
 الجزار : كان ثمة صاحب الخمارة . لماذا نظرت إليّ أنا ؟  
 كركرلاد : لا علم لي  
 الجزار : لا ... لا تفتح يدك لست أنا ... لست أنا ... لم أقل شيئاً .

كركرلاد : .. دعنا ... ألا ترى جيدا أنه ثقيل جدا ؟ أنت محظوظ ... لأنك وجدت نفسك ...  
الجزائر : حقا إذن ، كريس ، كريس هل تعرف ما معنى كريس ... جراب ... كريس عادي أخذته ...  
لويته حول ذراعي ويعد التثبيت أنه لا ثقب به ... كان يحدث نواتر في الماء نواتر يا سيدي ...  
كانت ثمة نواتر إلى غاية القمر ... الكيس كان في الأعماق مشدودا إلى صخرة ليستمر هناك  
... نواتر ... نواتر

كركرلاد : اهدأ

الجزائر : أنت تغلق يدك ... لكن لم اتمم كلامي ...

كركرلاد : اذهب واكمل اعترافاتك في مركز الولاية ... لست أنت الذي أفتش عنه وأنا على عجل  
. أه أريد أن أختلي بنفسي ... غير أنني أسمع دائما شيئا ما .  
\* \* \*

القبطان : زوجتي على حق . عملية الايقاف كانت قد تمت منذ زمن . لو جاء من أجل شخص  
مدني ... لكن بين الأعوان يكون الأمر دقيقا وحساسا ... انه الخجل انه يعرف ... يعرف كل  
شيء اذن سأذهب إليه في الحين .

كركرلاد : انه أيضا هذا القبطان الملعون

القبطان : أشكره يا كركلاد

كركرلاد : عن أي شيء ؟

القبطان : أصافحك بحرارة

كركرلاد : لكن ما السبب ؟

القبطان : من أجل مهارتك أصافحك بحرارة

كركرلاد : أية مهارة ؟

القبطان : هذا هو ، سوف لن أذهب في اتجاهات أربعة . الأمر يعود إلى سبع عشرة سنة خلت  
 . كنت شريكا في مؤامرة تزوير الانتخابات . الخجل يصعد إلى القلب في غليان . لقد زورت  
الانتخابات ... لم أكن أحب هذا لكنني أغمضت عيني ... كنت فقيرا لذا سمحت بوقوع هذه  
الممارسة القذرة رغم أنني أمثل السلطة . لقد تسلمت نصيبي من الفتيحة في السر . نصيب  
الجبان . أنا شخص حزين لكنني سأعيد كل شيء إلى حالته الطبيعية ، الآن سأختفي لأسباب  
صحية وإذا أردت ...

كركرلاد : اسكت أيها القبطان ... وانصرف في أمان

القبطان : سوف لن تبلغ شيئا إلى المصالح المعنية

كركرلاد : لا ؟

القبطان : شكرا . كل ما لدي لأقوله لك ... شكرا

كركرلاد : اذهب

القبطان : لكن قل لي

كركرلاد : حدسك صحيح لست أنت ... اذهب على كل حال ، لم تقل شيئا أنا سأعود إلى المنزل

صاحب النزل : مساء الخير سيد كركرلاد

كركرلاد : مساء الخير

صاحب النزل : الطقس جميل ؟

كركرلاد : نعم

صاحب النزل : سوف لن تستريح في قاعة التدخين ؟

كركرلاد : لا

صاحب النزل : هل تنتظر أحدا

كركرلاد : لا

صاحب النزل : هل بإمكانني أن أقدم لك أية خدمة

كركرلاد : خدمة بسيطة للغاية .

صاحب النزل : وماهي ؟

كركرلاد : أنا أنتظر دائما أيها الفندقني ...

صاحب النزل : وماذا اذن ...

كركرلاد : ماذا تعرف . هل سيكون ليوم غد أو في الحين ؟

صاحب النزل : سيكون للتو سيد « كركرلاد » ... اذا أردت تعال معي إلى مكثبي

كركرلاد : لا داعي لذلك

صاحب النزل : لا أحد يسمعنا ؟ يجب أن تنتهي المسألة . أنت على حق اذن هذا هو ، نعم

السقفة الثالثة لنزلي هي السقفة المشبوهة .. لكن لو أحببت قل لي ما هو ثمن السكوت ...

كركرلاد : أنت تزعجني إيه! الفندقني <http://Archivebeta.Sakhs.com>

صاحب النزل : حقا لست ديلوماسيا . أه كنت أعلم أن هذا اللقاء سيحصل ان عاجلا أو آجلا ؟

اذا أتيت لايقافي فاتي أسلم نفسي لكنك أول شخص يرفض أن يبيع ضميره

كركرلاد : هلا سككت ؟ من طلب منك تقاريراً عن نزلك ؟ عندما قلت إنني أنتظر شيئاً ما منك ..

ليس اعترافا ... اني أطلب قائمة الحساب ... لا أريد أن أكون مدينا لأحد .

صاحب النزل : أليست اعترافاتي هي ما تنتظره مني !

كركرلاد : لا أنتظر اعترافات شخص آخر ... أكثر حيلة منك ... لكنه سيأتي انه في نهاية دهانه

... قريبا جداً ... سيصرخ بأعلى صوته .

كركرلاد : أيها السادة لقد وجدته البارحة مساء على حافة الماء ساعة كنت أنتزه ... لقد وجدته

كل أهل القرية : من هو ؟

كركرلاد : كان وحيدا في الظلمة ... ينظر إلى الماء وهو يسيل ... فجأة صاح عاليا وقال

« أوقفوني ، إني مذنب ، توقفون من سرقي لكن أنا قتلت داخل قلبي ولم توقفوني : قال

« الانتحار أنا قادر عليه والتأمر أيضا . لقد أصبحت سيذا في مجال الكذب ... الضيق الذي

أشعر به كبير مثل قبحي ! قال في كهوف روحي لدي احتياطي من الرغبة والحد يدفعني إلى

الجريمة لولا جبني الذي يجعلني لطيفا ومهادنا . قال أيضا صحبة الفقراء الذين أزعجهم أحبهم أتقادها مثلما يتفادى الطاعون .. أنا أسكن قانورة ... أتقرّز منها لكثي مثل نودة التراب أعمل ما في وسعي لكي لا أغادر وحلي .. على عكس ذلك أغوص فيها وأتمرّع في تلذذ وهناء . قال أؤجل إلى ما بعد التعب والشغل ولدي دائما الوقت للفسق والافتخار .

قال « فمي مفعم بفصائح جميلة لكن قلبي لم يتبعها بالمرّة علنا ألعن النقود وعندما أعود إلى المنزل أنحني في إذلال أمامها إلى حدّ أحس بأن ركبتني تنثى ... قال : ليذهب الآخرون إلى الحرب أمّا أنا فأقول عن نفسي أنا بريء من جرائم الشعوب . لا أريد سوى الإشتراك في إحتفالاتهم . أغسل يديّ من المني التي ربّما أنا مسؤول عنها . كائن ضعيف ! من الذي يخرج مثلي إذن ؟ ليغني إنسان الخطايا الذي هو أنا ؟ رغبات شريرة تسكنني كليّا . أنا الخداع ، التّعاسة ، النسيان . دماغي حيوان بأقواء عدّة يتغذّمين تعب الآخرين . أيّ خطأ ارتكبت عبر السنين حتّى أكون تعيسا ؟ أيّها الموت رافّة بي ! هكذا صرخ .

أهل القرية : هل كنت حاضرا هناك ؟

كركرلاد : أجل كنت هناك

أهل القرية : من هو في نهاية المطاف ؟

كركرلاد : أنا .

أهل القرية : أنت ؟

كركرلاد : أنا ... سيأتون لأخذي هذا المساء ... سيأتهم نفسي بالفور والقسوة وتجاوز السكطة والمسؤوليّة ... سيأتهم نفسي بأنني كانت لي عينيّ أوس إذا تعلّق الأمر بأخطاء الآخرين وعيني أعني إزاء أخطائي ... فكيف لا أرتاح إذا ما قدمت إعترافياتي مثلما فعلتم جميعا ؟ جرائم كبيرة مقارنة بجرائمكم في النهاية سأتقاضى الفول الذي يتحدث اليكم . ليرسل بي إلى الأحفاد أنا أستحقّ هذا الموت العلني . ليفهم أولئك الذين لهم أذان ... لا ترفعوا عني العقوبة الطّالعة أمام مثل صباح ساجري إليها ... إنها حرّيتي ...

---

\* - المؤلّف : فليكس لوكلاك كاتب كندي من مواليد 2 أوت 1914 بويدينة \* لاتوك زاول تعليمه " باتوا " ثمّ اشتغل بإذاعة الكيباك ويمؤسسة راديو كندا . كتب البرامج الإذاعيّة والمسرحيّات والقصّة القصيرة أسس سنة 1948 بمعبد " في موفات " و " أيف فيان " فرقة مسرحيّة . نشر كتابه " حوارات رجال وحيوانات سنة 1949 وهو الكتاب الذي أخذ منه هذا النّص « مطاردة الرّجال »

# المهرجان الوطني للأدباء الناشئين بحي الزهور

بتقم : بلهوان الحمدي

إنعقد المهرجان في دورته العاشرة على مدار ثلاثة أيام 4 و 5 و 6 جويلية 1997 في فضاء دار الشباب والثقافة الطيب المهيري بحي الزهور تونس .

كانت الأيام حافلة بهيجة رغم بؤس الظروف المادية في كثير من الأحيان . في كلمة أولى يقول رئيس المهرجان الصحفي محمد بن رجب ما يلي : « هل يجب القول دائما بأن الشباب هم الذين يجدون الحياة ... وهم الذين يطورون الفكر والثقافة ... ويهيئون أسباب نهضة الحضارة .

نعم يجب أن نكرر القول في ذلك لأنها الحقيقة ولأن الشباب هو نفسه متجدد ... وشباب الأمس من المؤمنين بالتقدم هم الذين يمتنون يد المساعدة لشباب اليوم ... »

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هذه النورة العاشرة - والمهرجان قد كبر - يمكن تبويبها إلى ثلاثة أبواب أو أيام مقترنة بثلاثة أسماء : يوم المنجي الشملي - يوم الشاذلي زوكر - يوم إبراهيم الدرعوثي .

## 1 - يوم المنجي الشملي :

وهو اليوم الأول من فعاليات المهرجان خصص تكريما للأستاذ الدكتور المنجي الشملي الذي قدّمه الأستاذ فؤاد القرقوري وهو طالب سابق وتخرج على يديه .

كذلك فعل الناقد أبوزيدان السعدي في حديث ذكريات من نوع آخر . ويمكن أن نأتي على ما جاء في المداخلتين متوحيّن أو ناظرين إليه من زاويتين : إدارية ومعرفية ثقافية  
أ - الوجه الإداري : درس الأستاذ المنجي الشملي طوال عقود في الجامعة التونسية بعد تخرجه من الصادقية وجامعة الصربيون الفرنسية . فكان نشاطه العلمي مكثفا : الإشراف على الرسائل الجامعية وتأسيس الحوليات وأسس شهادة الأدب المقارن في كلية الآداب . أدار الرجل

كذلك مؤسسات علمية رائدة كدار المعلمين العليا ومعهد علوم التربية .

من نشاطاته الأخرى مساهمته في تأسيس رابطة حقوق الإنسان في تونس .

ب- الوجه الثقافي : أكد المحاضر أن الشملي « مفرد بصيغة الجمع » . هو شخصية عميقة ومتنوعة المصادر ، توفرت لديه أسس فلسفية لنظرية ثقافية في سياق تونسي وعربي وإنساني . والثقافة موقف إجتماعي من الواقع نابع وبورها في البقاء والنمو والعبور . كما تميز المنجي الشملي بإيمان أكيد بالفعل والجدل .

وتناول الاستاذ أبو زيّان السعدي الرجل المحتفى به وذهب مذهباً فكرياً : الدكتور الشملي ذ و ثقافة واسعة . هي ثقافة وطنية وعربية وإسلامية ، وهي ثقافة حديثة فرنسية بالخصوص . هذا الفنى وأد وضوحاً في الرؤية واستقلالية في الرأي : « إن محنة التجديد الأدبي اليوم هو التجديد التقليدي الإسقاطي » وأسس النظرية النقدية عنده هي كما يلي : روح الذوق لا الذوق مطلقاً . وروح العلم لا العلم مطلقاً .

## 2 - يوم الشاعر الشاذلي زوكار :

وهو اليوم الثاني من المهرجان .

وقبلها يوم كرم المهرجان هذا الشاعر الذي اختلته الدبلوماسية باكرا وطاف بفضل ذلك أصقاعاً عربية مختلفة ومتخالفة بعد أن كان شارك في تأسيس رابطة القلم الجديد التي انطلقت مغاربية وبرية عربية تجديدية يوم 18 جانفي 1952 . وتشاء المصداق أن يحضر الشاعر الجزائري محمد الأخضر السأحي بيننا وقد مرّ على تاريخ التأسيس ذلك ما يناهز النصف قرن في اليوم الثاني إذا وقع إحتفاء بنصوص المشاركين في التظاهرة الثقافية الأدبية :

1 - الشعـر : أشرف على الجلسة الشعراء نور الدين صمود ( مدى الحياة ) وعبد الله مالك القاسمي وسوف عبيد والبشير المشرقي والشاذلي زوكار والشاعرة جميلة الماجري .

قرأ فؤاد الحمدي « تراثيل » وفيصل البدوي من جنود « الجريدة » كذلك تلا علي ميزعية من باجة « باب الأغنيات » بلال الرياحاني بكى ضياح القافية والرمح وهجا الحداث والمحدثين في قصيده « لقاء شعري مع المتنبي » أما بالنسبة للشاعرات فقد غنت جميلة الجربي « في انتظار عشتار » وفاطمة بلال « وجه من غير هوية » وملكة العمراني « في عينيك سنبلة » هذه بعض الأسماء قد يسقط غيرها قصورا أو تقصيرا . فالذاكرة انتقائية بالضرورة .

اللجنة قرأت واجتهدت وأجمعت واختلفت . لكنّها في النهاية أقرّت أن نصوصاً جيّدة وأقل جودة حضرت وتفوّقت على ما سواها نذكر قائلها أو مبدعها حسب الترتيب مكتفين بثلاثة :

1 - أحمد السكطاني ( القيروان )

2 - حسن حمادة ( قليبية )

### 3 - المكّي الهمامي ( بنزرت )

قبل الإنتهاء من الشّعر هذه بعض أصدائه الجميلة :

\* الشّاعر فؤاد الحمدي كتب :

أحبك يا شاعرا / يحسبني المكان / أحبك يا قبلة للجميلات / في وطني / أحبك يا شاعرا /  
تستفيق البلاد على شذوه / كلّ فجر / وتغفو على حزنه في المساء .

\* الشّاعر عمّار العوني :

غربة كاحق / تأبّط رأسه ونام / ويلي ... لو يخطف رأسي الحمام / ما يبقى لي .! صاح صائح  
: لا تكثرت يا غلام / إذا طار رأس صار كاسا لتوزيع الدّام .

\* الشّاعرة الهادئة جدّا فاطمة بلال :

تقول في قصيد ليس « لي ما أحبّ »

أحبّ من العين نظرتها الفاضحة / هي العين مرأتنا حين نخفي الغضائخ فينا / ونخفي الخطايا /  
أحبّ من العين صدق المرايا / أحبّ من القول ما لا يقال / هي الأمنيات ... المحال / هي الصّمت  
صمعا يوارى الغضب / إذن ... ليس لي ما أحبّ !

### 2 - القصّة القصيرة : أشرف على الجلسة قراءة وتقييما الأساتذة مصطفى الفارسي ،

النّاصر التّومي ، محمّد يحي ، رضوان الكوني ومسعودة بويكر .

كانت المساهمات متفاوتة جدّا . لذلك قرّرت اللجنة انتقاء الجيّد منها ليقرا . ولوحظ أنّ بعض  
القصص طويلة جدّا حاشية بالأسماء والأحداث والأزمنة والأمكنة والرّموز . فحكمت القصص ما  
لا تحتل وافترقت إلى عنصرتي المفاجأة وبالتالي النّفثة .

بعد جدل أقرّت وأسندت المجموعة جوائز إلى ستة قصّاصين نكتفي بذكر الثلاثة الأوائل :

\* - آسيا السّحيري ( السّاحلين ) عن قصّتها « ذلك الزّمن ... تلك الذّكري »

\* عمّار العوني ( فوسانة ) عن قصّته « تصبّح على حلّ...! »

\* محمّد أنيس البحري ( 16 سنة )

### 3 - يوم الروائي إبراهيم الدّرغوثي :

- والتّسمية لي - عربون محبة وتقدير له لطيبته ورفعته ومرونته . حبّذا لو كانت جماعة الكتاب  
أكثر شعبية وأقلّ نرجسية . مثل صاحب « الدّراويش يعولون من المنفى » . أعود لهذا اليوم  
الختامي الذي احتفل بالتّدق وهو يسير وأيسره لا يتعدّى مستوى المتوسّط .

محاولات بدائيّة قاربت قضايا متأكّلة كالحداث ( كم صرت أكرهك يا حداثه ! ) . لا تضيف  
هذه المقالات شيئا وكلّ ما تفعله هو النّسخ والمسخ الفاضحين . بعض المحاولات تتناول نصوصا  
روائيّة معاصرة « النّخّاس » لصالح الدّين بوجاه و « شبايبك منتصف اللّيل » لابراهيم  
الدّرغوثي . وأشعت الأولى بأكثر وضوح منهجي أمّا المحاولة الثّانية فهي فضفاضة تتمثّل أسلوب  
« اليوسفي » لكنّها تفشل وتقول الأمر ونقيضه حتّى كأنّها لا تفهم إلى شيء مفهوم أو غير



مفهوم !

وقد أفضت نتائج المسابقة التي أشرف عليها النّاقّد أبو زبّان السّعدّي على النّتاج التّالية :

1 - عبد المجيد إبراهيمي ( باجة ) : الحداثة الشّعريّة .

2 - بلهوان الحمدي ( نوال - قرنبالية ) : بحث في فضاءات رواية النّخّاس الرّوائي صلاح الدين بوجاه .

3 - خالد الرّدكوي ( قفصة ) « شبابيك منتصف اللّيل »

ولعلّ ما انقذ ذلك الصّباح مداخلتي الأستاذين كمال عمران والمنصف الجزّار أوّلاً : تناول الأستاذ المنصف الجزّار مجموعة دليّة الرّيتوني القصصيّة « لا سلطان إلّا للحب » وركّز بحثه على أهمّ مقوّمات العمل القصصيّ من النّاحية الفنيّة : فالقصة القصيرة إمّا أن تكون ملحمة تقوم على التّوافق أو تراجديّة قائمة على الصّراع - وحدة الانطباع - توظيف دقيق للغة وتكثيف عال للأحداث . الخاتمة المفاجئة وهي تكسير لحالة القلق والإنّتظار .

فما هو حظ « لا سلطان إلّا للحب » من سبيل التّفقّي هذه ؟

لاحظ النّاقّد ما يلي : على مستوى المضمون لاحظ تكراراً للمواضيع ( المرأة أو الأنثى التي تجذّب ضدّ التّيّار ) ، أما على مستوى الخطاب فقد طغى عليه الوعظ والابلاغ . فالمجموعة قائمة على السّرد بينما القصة القصيرة بحاجة الى حوار وأرضيّة وأمكنة وتوتّر وليست مجرد خبر أو خواطر

ثانياً - قارب الأستاذ كمال عمران مجموعة « خنوش الماء » للشّاعر عادل بوعقة . بعدما شبّه إلى ملابسات الكتابة الشّعريّة المعاصرة قال : « الشّعْر جدّ صارم وحيرة عقل » . فهو يقوم على الوعي والتّمرد . وفي خصوص « خنوش الماء » لاحظ المحاضر ما يلي : في تجربة الشّاعر ، هي مزاجيّة بين رواسب الثقافة بحيث تلمس في القصائد عودة للأسطورة توظيفاً لا استنساخاً وعودة للحكاية الشّعبيّة والدينيّة وهذا دليل رؤية وانتباه الى الصّياغة المتدرّجة المتطوّرة للنّصوص وجدليّة المرأة والوطن والبحر فيها .

هي قصائد تتأثّر عن التّملّية والأسر وتهفو إلى تحرّر وانعتاق ما .

أخيراً هذا توثيل وهو تأمل وانشغال . فلا معنى للمهرجان بمعزل عنيّ فهو ما ومخاوف . هي ملاحظات تغلب في الأيام الظنّ بعد الظنّ وإنّ بعض الطّنون فضيلة :  
- غياب تام لاتّحاد الكتّاب التّونسيين وحضور بعض ممن قاطعه استقالة .  
- انعدام معارض للكتاب والرّسم وأرشيف المهرجان للدّرات السّابقة ( صور - نصوص - متابعات صحفية ... )

- صدور مجموعة الشاذلي زوكار الأولى « للعشق ... للوطن » يوم الإفتتاح وكان عليه توزيع بعض نسخها على المشاركين .

- التّفكير في إقامة تنوّر فيها شروط تليق بالكتّاب والإنسان إدوة بمواطنيهم الرّياضيين والسّينمائيين والمزاويديّة . مع تحياتي إلى « المنطلقات » وإلى « رجل محترم جدّاً » وإلى « يد تبحث عن أختها » وإلى « برزخيات » و « زهرة الخريف الحزين » الغائبة الحاضرة في البال.